آداب اللياقة

تأليف

مُحَمَّد مسعود

الكتاب: آداب اللياقة

الكاتب: محمد مسعود

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم –
الجيزة - جمهورية مصر العربية
هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

مسعود، محمد
آداب اللياقة/ محمد مسعود,
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٢٨ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٨ – ٢٢٨ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع: ٩٧١٥ / ٢٠٢١

آداب اللياقة





تقديم

صدر هذا الكتاب للمرة الأولى في مطلع عام ١٩١٣، يومها احتفلت به الصحافة المصرية، وكتب الأديب الشهير حينئذ عبدالرحمن البرقوقي تقريظا له في العدد الثالث عشر من مجلة البيان، وكان البرقوقي يملكها ويحرر بها بابا عنوانه " مطبوعات جديدة ". صدر هذا العدد من البيان في أكتوبر ١٩١٣ وهو نفس العدد الذي كتب فيه البرقوقي عن رواية " زينب " للأديب مُحَمَّد حسين هيكل التي تعتبر أول رواية عربية، وكان البرقوقي أول من كتب عنها.

يومها كتب ما نصه: " آداب اللياقة..كتاب لم يكد يصدر حتى انتشر. ولم يكد ينتشر حتى علم الناس مكانته من النفع، ومحله بين الكتب الممتعة التي نحن المصريين شيوخاً وشباباً بمسيس الحاجة إليها. ومما زاد جمهور القراء ثقة بجمام نفعه وكبير فائدته أن واضعه ذلك الكاتب اللبق والمطلع الباحث مُحَمَّد أفندي مسعود الذي كثر ما عرفوا فضله وشهدوا مقدرته وتبينوا حذقه وسعة اطلاعه واجتهاده في البحث في سني تقويمه وغير ذلك من عقائل براعته ومحاسن قلمه.

وقد زان الكتاب في كثير من موضوعاته بالأحاديث النبوية وروائع الكلم ومأثور الحكم وكثير من الاستشهادات والحكايات مما جعل الكتاب آية في بابه نفعاً وفائدة.

وقد أحسنت نظارة المعارف صنعاً بتقريره في مدارسها، وعسى أن يقرأه المعلمون على تلاميذهم، ويأخذوا النشئ بآدابه، ويحثوهم على العمل بقواعده، حتى تتهذب الآداب وتستقيم النفوس، وتطيب الأخلاق، فذلكم عماد الرقي ونهجه، والكتاب كفيل بأن يأخذ من النفوس مكانه، ويدلها على سامية الآداب ومحمود الأخلاق. وثمنه ستة قروش مصرية لا غير ".

هكذا أوضح البرقوقي منذ أكثر من مائة عام مزايا هذا الكتاب، وهي المزايا التي دفعت يومها "نظارة المعارف العمومية" أو "وزارة التربية والتعليم" كما نعرفها اليوم إلى جعل الكتاب مقررا على التلاميذ، وهي نفسها الأسباب التي كفلت لهذا الكتاب البقاء واستمرار التداول وإقبال القراء عليه رغم توالي العقود وتعاقب السنوات والإصدارات.

هذا وقد صدرت بعد طبعاته بعنوان "الأدب اللائق" دون أن تضيف شيئا لمحتوى الكتاب كما أصدره صاحبه، وفي ذلك دليل على أن الكاتب نجح وأدرك الهدف الذي أوضح صاحب الكتاب في تقديمه لتلك الطبعة من الكتاب حينما قال:

" ولما كان مرماي من التأليف بين أجزاء هذا الكتيب، هداية النشء إلى أقوم الطرق، لضبط تصرفاتهم القولية والفعلية، وأن يشبوا عارفين

بالأنسب والأليق منها في ظروف الحياة المتباينة، وأطوارها المتناقضة، فقد توخيت في وضعه أن يكون سهل العبارة، قريب المأخد على الفهم، بما أوردته في غضون أحكامه وقواعده، من الأمثال والشواهد، الذاهبة بشيء من خشونة الأمر النهي ".

والكاتب لم يترك في كتابه حركة أو خصلة إلا أثبتها، مبينا جوانب الحسن فيها، وداعيا إلى فعلها والاتصاف بها، أو ذاكرا لجوانب القبح داعيا إلى تجنبها والانصراف عنها، ويبدأ بآداب حركات الجسم متوقفا عند كل حركة من حركات أعضاء الجسم الظاهرة، ثم يتحدث إجمالا عن آداب النظافة قبل أن ينتقل إلى الثياب والحلي وكل ما يلبس الإنسان، فإذا ما اطمأن إلى إحسان الإنسان لحركاته ولباسه، انتقل بيسر إلى آداب الطعام والشراب، بل وآداب الدعوة إلى وليمة أو حينما يكون الإنسان مدعوا، وإذا كان خادما أو مخدوما، والأداب عند الجلوس إلى المائدة أو عند الانصراف عنها، ولا يدع الكاتب شيئا من سلوك الإنسان دون أن يلفت الانتباه لما يجب حياله من آداب واجبة الاتباع، فيعرض لآداب التهادي حينما تهدي أو يهدى إليك، وآداب الزيارة وعيادة المريض، وآداب المناقشة والمناظرة والمراسلة، حتى الآداب الواجب اتباعها في المتنزهات والملاهي، لم يفت الكاتب أن يضمها إلى كتابه الذي يعد مرشدا ودليلا للسلوك القويم.

ومن الأشياء التي تزيد من أهمية هذا الكتاب إن صاحبه لم يقم بتوجيه نصائحه بشكل فظ أو جاف، بل قدم كل ما أراد تقديمه من آداب بلغة سلسة وأسلوب عذب مستشهدا بالأقوال المأثورة أو

الأحاديث النبوية الشريفة، فمثلا وفي معرض الحديث عن " آداب الوجه والرأس " وحينما نهى عن إطالة الوقوف أمام المرآة دون لزوم، وفي نفس الوقت دعا إلى ضرورة الحرص على الظهور بمظهر حسن، هنا أردف كلامه بما ورد عن النبي مُحَمَّد (ص) ذاكرا أنه " وقف رجلٌ ذات يوم على باب النبي عليه الصلاة والسلام يستأذن عليه، فخرج النبي فوجد في حجرته رَكوةً فيها ماءٌ، يسوي لحيته وينظر إليها. فلما رجع داخلاً، أنكرت عائشة ذلك عليه، فقال: "يا عائشة إن الله يحب، إذا خرج عبده المؤمن إلى أخيه، أن يتهيأ له وأن يتجمل ".

و كذلك في باب " الآداب الواجبة على المائدة " أورد حكاية عن الخليفة العباسي هارون الرشيد حينما دعا ذات يوم أبا معاوية الضرير، فصب الرشيد الماء على يده في الطست؛ فلما فرغ قال: يا أبا معاوية، أتدري من صب الماء على يدك؟ قال: لا. قال: صبه أمير المؤمنين. قال: يا أمير المؤمنين، إنما أكرمت العلم وأجللته، فأجلك الله كما أجللت العلم وأهله.

ومن مزايا الكتاب أيضا أن المؤلف لم يهمل شأن الهوامش والحواشي، فجعلها مكملة للمتن في نواح كثيرة، كأن يذكر تعريف مختصر بالأعلام الذين يرد ذكرهم في المتن كابن سينا، وهارون الرشيد، و المستر جلادستون الذي ترأس الوزارة البريطانية أربعة مرات.

أيضا ذكر الكاتب في الحواشي معلومات علمية تفيد القارىء وتبين له تأييد العلم لما يدعو له المؤلف من آداب، أيضا اهتم بالتأكيد على

تطابق ما يقول مع العلم فأوضح في حاشية تخص باب " آداب النظافة " أن جلد الإنسان عضو تبخير إذ يتصاعد منه يوميا نحو كيلو جرام من الماء، وعضو امتصاص لأنه يمتص بالسوائل التي تلامسه، وعضو تنفس لأنه يمتص الأوكسجين ويطرد حمض الكربونيك كما تفعل الرئة سواء؛ إلا أن عمل الرئة أكثر من عمل الجلد ١٣٥ مرة وقد أثبت العلماء أهمية وظائف الجلد بأن أزيل صوف حيوان وطلي جلده بطلاء لزج لا ينفذ منه الهواء ولا السوائل فأصيب الحيوان باضطرابات انتهت بموته. والأوساخ التي تتلبد على جلد الإنسان تحدث في جسمه من الاضطرابات ما أحدثه ذلك الطلاء بالحيوان.

كذلك كون الكاتب مسلما لم يدفعه للاكتفاء بالتدليل والاستشهاد بالقرآن فقط، فأيضا وفي باب " آداب النظافة " استشهد في حاشية بما جاء في التوراة– إصحاح ٣٠ من سفر الخروج: "وكلم الرب موسى قائلا وتصنع مرحضة من نحاس وقاعدتها من نحاس للاغتسال وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح وتجعل فيها ماء فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع. يغسلون بماء لئلا يموتوا أو عند اقترابهم إلى المذبح ليوقدوا وقوداً للرب يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا ويكون لهم فريضة أبدية له ولنسله في أجيالهم" وفي هذا دليل على أن النظافة كانت لأهميتها مفروضة منذ الأعصر القديمة.

وفي حاشية تالية لها في نفس الباب استشهد بما بأن الشريعة الإسلامية شددت في تحتيم رعاية النظافة وجعلتها الطريق للعبادات. ذاكرا قوله سبحانه و تعالى في القرآن الكريم: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

المُتَطَهِّرِينَ" وقال أيضا: "يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ ورَبَّكَ فَكَبِّرْ وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ والرُّجْزَ فَاهْجُرْ".

هذا عن الكتاب أما عن الكاتب نفسه وهو "مُحَمَّد مسعود " فهو أديب ومؤرخ مصري، عمل بالصحافة وشارَكَ في إصدار وتحرير عدة جرائد مهمة في مطلع القرن العشرين.

وقد وُلِد مُحَمَّد مسعود حسن عفيفي بمدينة الإسكندرية في عام ١٨٧٢م؛ وفيها تلقَّى علومه الأولية، وكذلك تعلَّمَ اللغتين الفرنسية واللاتينية، وقد أظهَرَ منذ صِغَره ميولًا أدبية واضحة وشغفًا بالترجمة.

لذا ترك الإسكندرية إلى القاهرة حيث عَمِل بالصحافة، فبدأ محرِّرًا بجريدة "المؤيد"، وشارَكَ في تحرير وإصدار العديد من الصحف الأخرى منها " الآداب " و " النظام "، كما نشر العديد من المقالات الأدبية والتاريخية في كُبريات الصحف المصرية التي كانت تصدر في تلك الأيام وعلى رأسها جريدة " الأهرام ".

وكان للترجمة نصيبٌ كبير من مجهودات مُحَمَّد مسعود الأدبية، فترجَمَ عن الفرنسية العديدَ من الكتب القيّمة لمؤلفين كبار منها: " حضارة العرب " لجوستاف لوبون، و " الاقتصاد السياسي "لشارل جيد، و "مصر في القرن التاسع عشر " لادوار جوان، و " لمحة عامة عن مصر " لكلوت بك، وغير ذلك من كتب ؛ الأمر الذي أهَّلَه لشغل منصب مدير قسم الترجمة والنشر في " وزارة التجارة والصناعة "، ورغم القيمة الأدبية لوظيفته وقتها وكذلك العائد المادي منها، إلا أنه لم ينشغل عن هوايته

الأدبية، فاستمر في الكتابة والنشر، وكانت له مؤلَّفات أدبية وتاريخية مهمة، مثل: " لباب الآداب " ، و " ثمار السمر "، و " المنحة الدهرية في تخطيط مدينة الإسكندرية "، و " المرأة في أدوارها الثلاثة ".

وفي مجال الإبداع الروائي أصدر أول عمل مصري عديد الأجزاء وهو رواية " وردة " التي صدرت في جزئين صدرا منذ تسعين عاما.

وفي مجال التأريخ أصدر خمسة وعشرين جزءا من كتاب يؤرخ لمصر في العصر الحديث تحت عنوان " تقويم مسعود "، وكانت له إسهاماته في مجال الرحلات ومنها كتابيه " رحلة السلطان حسين كامل " و "رحلة الملك فؤاد" وفيهما يجمع بين التأريخ وأدب الرحلات.

وكانت له إيضا إسهامات بالتأليف والترجمة في مجال تطوير مهارات وقدرات الإنسان، وهو المجال الذي عرف فيما بعد بالتنمية البشرية، ومن أهم كتبه في هذا المجال كتابيه "وسائل النجاح " وكتاب " آداب اللياقة ".

هذا وقد تُوُفِّيَ مُحَمَّد مسعود بالقاهرة في عام ١٩٤٠م، عن ثمانية وستين عاما حافلة بالعطاء الأدبي والتاريخي. وقد أرخ له الزركلي وأثبت ترجمته في كتابه الشهير " الأعلام ".

الناشر



مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين. أما بعد:

فهذا كتيب ضمنته قواعد في الآداب الاجتماعية، وأصولاً في قوانين المعاشرة، استخلصتها مما أقرته العادة، وأجمعت عليه الأذواق، وتوافرت على الأخذ به الطبقات المهذبة في الأمم الراقية.

وكفى بياناً لأهميتها، إنها المحور الذي تدور عليه الروابط الأدبية والاجتماعية، التي تربط الأفراد بعضهم ببعض. في البلاد المتحضرة، والميزان الذي توزن به أخلاقهم وطباعهم فمن كان على أرثٍ منها، أو فائزاً بالسهم الأجزل، رمق بعين الاحترام، وأحل محل الأجلال والأعظام، ومن كان عنها بمنحاة، عومل معاملة من لا خلاق لهم، ونبذ نبذ النواة.

ولما كان مرماي من التأليف بين أجزاء هذا الكتيب هداية النشء إلى أقوم الطرق، لضبط تصرفاتهم القولية والفعلية، وأن يشبوا عارفين بالأنسب والأليق منها في ظروف الحياة المتباينة، وأطوارها المتناقضة، فقد توخيت في وضعه أن يكون سهل العبارة، قريب المأخد على الفهم، بما أوردته في غضون أحكامه وقواعده، من الأمثال والشواهد، الذاهبة بشيء من خشونة الأمر النهي، حتى أصبح على ما أرجو، خليقاً بأن يتداوله النشء، وأن يجعل منهم في المستقبل، بما استظهروه من قواعده، والفوا العمل به من مبادئه، طبقة عارفة بحقوقها وواجباتها الاجتماعية، دالة بأخلاقها

وطرائقها المحمودة في السير والسلوك، ونزعاتها في آداب المعاشرة، على كرم الأمة التي هم أبناؤها، ورسوخ شرفها وتأثل مجدها.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبوا أخلاقهم ذهبوا

وإني لأرجو أن أكون بهذا العمل الصغير قد قمت بمفروض الخدمة للوطن في ناحية من أهم نواحيها

محمد بك مسعود

آداب حركات الجسم وأوضاعه

١- تستدعي راحة الجسم، أن تكون أوضاعها المختلفة، من قيام وقعود، وحركة وسكون بعيدة عن التصنع الذي يشوهه ويكشف عيوب الأخلاق.

ولما كان نمو الجسم يبعث الطفل على استمرار الحركة والانتقال، كان من حسن التأديب تعويده مغالبتهما، في حضرة كبار الناس.

٢- ينبغي، إذا وقف المرء، أن يقف معتدل القامة: فلا يقوّس ظهره، ولا يميل برأسه يمنة أو يسرة، ولا يرفعه إلى السماء، ولا يستند إلى جدار أو غيره.

٣- وعليه، إذا مشي، أن تكون حركته قصداً بين البطء والسرعة، مع تخفيف وقع القدمين على الأرض.

أما المرأة فيجمل بها أثناء السير، أن تجعل إحدى ذراعيها بحيث توهم أن بيدها شيئاً؛ إذ في إرسالها الذراعين مؤازيتين للجسم، ما يجعلها أشبه بالرجل منها بالمرأة.

٤- وليحذر، إذا جلس، الاضطجاع كالكسلان، ولف الساق بالساق، وتحريكهما كالأرجوحة، واعتماد الرأس باليدين، والاستناد إلى الكرسي، والأخذ من مجلس جاره، واكثار الميل إلى أحد الجانبين،

والتنقل من مكان إلى آخر، لأن هذه المحظورات دليل سوء الأدب والطيش.

٥ _ مما يحسن بالمتحدث اجتنابه، إذا كان في مجلس، ألا يظل جالسا إذا وقفوا، أو واقفا إذا جلسوا، ولا يشخص بنظره فيما حوله، ولا يتلهى بالنظر في مرآة قبالته، ولا يكثر العبث بشعره أو بلباسه، ولا يمسك بأطراف ثياب جليسه، أو يحملق بعينيه، ولا يهز كتفيه أو يخرج لسانه، ولا يضرب بيديه أو برجليه، كمن يزن مقاطع نغمات يسمعها، ولا يلاعب الجو بسلسلة ساعته، أو بشيء ما في متناول يده.

آداب الرأس والوجه

١ _ لا يحسن بالمهذب أن يميل برأسه جانبا، إلا في مواقف الخشوع والطاعة، كأن يكون مصليا، أو ماثلا بين يدي كبير، إذ لا بأس عندئذ من إمالته قليلا إلى الأمام.

ولا تحسن الإجابة على سؤال بإيماءة من الرأس، إلا في أحوال استثنائية، كأن يكون الإنسان مأخوذا بسعال أو نحوه، إذن فلا بأس من الإيماءة به، حتى إذا برز للناس أو سار في قضاء شؤونه، لا يقع نظر أحدهم على ما يدعو إلى انتقاده، أو الاستخفاف به.

٢ _ الوجه مرآة النفس، والشاهد على طباع المرء، لذا ينبغي ألا تدعوه ملامحه إلى الظنة بصاحبه، فلا يكون دائم العبوس بلا باعث، ولا دائم البشاشة عن خفة أو إفراط، ولا ضاحكا في مقام الحزن، ولا متكلفا الاكتئاب في مجالس التبسط، ولا متصنعا الاتضاع أمام الكبراء عن رهبة أو رغبة، بل عن أدب صحيح وثبات جأش.

٣ _ المرآة اداة تنطبع فيها صورة الرائي، فلا يستهوينه العجب بنفسه إلى الوقوف أمامها إلا بمقدار ما يصلح شأنه، وانتظام هندامه وحسن سمته، حتى إذا برز للناس، أو سار في قضاء شئونه، لا يقع نظر أحدهم على ما يدعوه إلى انتقاده أو الاستخفاف به.

وقف رجلٌ ذات يوم على باب النبي عليه الصلاة والسلام يستأذن عليه، فخرج النبي فوجد في حجرته رَكوةً[1] فيها ماءٌ، يسوي لحيته وينظر إليها. فلما رجع داخلاً، أنكرت عائشة ذلك عليه، فقال: "يا عائشة إن الله يحب، إذا خرج عبده المؤمن إلى أخيه، أن يتهيأ له وأن يتجمل".

٤- إذا رأى أحدكم امرأة دممت[2] وجهها بالأبيض والأحمر، لتجود على نفسها بما ضنت الطبيعة به عليها من محاسن الخلق، أفلا يشعر في نفسه بالاحتقار لها، والاستخفاف بها؟

لا ريب في ذلك، لأنها لا تغش الناس فقط، بل تخدع أيضاً نفسها؛ وفي هذا منتهى التغرير والغفلة.

وجديرٌ بالمرأة أن تضع نُصب عينيها، أن تدميم الوجه بالأبيض والأحمر، لا يجوز إلا للممثلات، في الملاهي والمسارح، وأنه شديد الخطر على الوجه، فهو لا يلبث أن يشوهه ويذهب بروائه[3].

---

(١) الركوة بفتح الراء مع التشديد إناء للماء جمعها ركاء وركوات.

(٢) من دم الشيء طلاه بقلاء. ودم البيت جصصه ودم السفينة قيرها أي طلاها بالقير وهو القطران. ودم العين طلا ظاهرها بدماء. والدمام ما طلي به الوجه وهو المراد هنا.

(٣) الدمامات يدخل السم في تركيبها فينفذ في المسام عند طلاء الوجه بها ويدور مع الدم في دورته فتنشأ عنه الأمراض القتالة. وهي تصنع إما من أبيض الرصاص وهو سم يفسد النظام العضوي في زمن قصير ويستحيل إلى لون أسود إذا لامسه الكبريت. وإما من أبيض الزنك وهو ضار أيضاً لأنه يجعل الوجه صلباً ويصيب الوجه بالتجعد والأسارير. وإما من أبيض الباريت وهو فضلا عن رداءته شديد الخطر. وإما من أبيض البزموت وهو يستحيل إلى لون أسود بملامسة الكبريت. وهناك دمامات حمراء غير هذه ليست بأقل منها ضرراً بالجسم.

٥- ينبغي تعهد الرأس بالنظافة، وولاية الشعر بقصه وتنسيقه. ويكون ذلك بتمشيطه وترجيله[١]. وألزم ما تكون هذه العناية، إذا كان المرء زائراً أو مزوراً.

دخل رجلٌ على النبي ﷺ، ثائر الرأس أشعث اللحية[٢]، فقال: "أما كان لهذا دُهن يسكن به شعره؟" ثم سكت هنيهةً وقال: "يدخل أحدكم كأنه شيطانٌ".

٦- خليقٌ بالمهذب ألا يدع ذؤابته[٣]، وفوديه[٤] بارزات من تحت القلنسوة[٥]؛ لما فيه من التظرف الذي يذهب بالوقار والهيبة، وألا يرسل شعره على كتفيه، تشبهاً بأهل الشعر، والتمثيل، والتصوير من الأوربيين، بحجة أنه من زُمرتهم، لأن إرسال الشعر لا يدل على النبوغ وسعة العقل، وإلا كان النساء أوسع عقلاً من الرجال وأكثر استعداداً للنبوغ.

٧- لا تعبث بشاربيك، ولا تدهن شعر رأسك بالزيوت اللزجة التي تدعو إلى التصاق الغبار به.

٨- لا يليق بمن يحترم نفسه، أن يطيل لحيته أو شاربيه إطالة تشوه خلقته، أو يقص لحيته كذنب الحمامة، أو يتركها متفتلة إيهاماً بالتقوى ولا

---

(١) الترجيل من رجل بتشديد الجيم إرسال الشعر بالتمشيط ويقال أيضا في تجعيد الشعر وتمويجه.

(٢) ثائر من ثار بمعنى هائج الشعر. وأشعث من الشعث الانتشار والتفرق.

(٣) الذؤابة هي شعر الناصية جمعها ذوائب.

(٤) الفود هو معظم شعر الرأس مما يلي الأذن.

(٥) القلنسوة لباس الرأس أيا كان جمعها قلانس وقلانيس يقال: فلنسته فتقلنس ألبسته القلنسوة فلبسها.

شعثة إعلاناً للزهد، أو ينتفها التماسا لشباب مضي، أو يستل الأبيض منها، أو يصبغها بالسواد أو غيره، استنكافاً من الشيب[1].

---

(1) كان ابن أبي ليلى القاضي يرد شهادة من ينتف لحيته.

آداب اللحظ والعين

١- العين مرآة الانفعالات النفسية، واللسان الناطق بما يتأثر الوجدان به، من الفضائل أو النقائص.قال بعض الحكماء: "العين باب القلب، فما كان في القلب ظهر في العين". وقال الشاعر:

وإن تـك في حبيـب أو عـدو   تخـبرك العيـون عـن الضـمير

فاحذر إذن أن تترجم عيناك عن حقد كمين في نفسك، أو رياء تحاول أن تخدع به غيرك، أو حسد ترمق به مال سواك.

٢- من فضول النظر: التحديق في الناس والأشياء بغير ما سبب، والنظر إلى المحرمات المنهي عنها.

استأذن الربيع بن خيثم على ابن مسعود، فخرجت له جاريةٌ حسناء فغمض عنينه، فعادت وقالت لابن مسعود: إن بالباب رجلاً أعمى يقول- أنا الربيع ابن خيثم- فقال لها: ليس الرجل بأعمى، وإنما غض بصره عما نهاه الله عنه.

٣- من الناس من إذا نزل به مكروه، أو ألم به نازل من الضيق، أطرق برأسه إلى الأرض، ونظر إلى نقطة منها لا تتحول عينه عنها.أولئك هم ضعاف القلوب، الذين يفقدون الثقة في المستقبل، والرجاء في جانب الله، ويضيعون بفعلهم هذا شطراً كبيراً من أعمارهم، فيما لا جدوى منه.

٤- من حق العين على الرء، وهي أدق عضو من أعضاء الجسم، تعهده إياها بالنظافة، مجتنباً في ذلك استعمال اليد؛ لأنها قد تكون ملوثة، فتصيبها بلوثها. وإذا سقط الذباب على العين، فالواجب طرده حالاً، لأنه ينزل على الأشياء الغفنة فتتعلق أجزاؤها بأرجله. فإذا وقف على العين، ولم يبادر بطرده، أصابها بمرض ربما ذهب بها[1].

(1) قال الدكتور هوارد في كتابه "الذبابة المنزلية" أن الذبابة تنقل بأرجلها وأجنحتها من ٥٥٠٠٠٠ إلى ٦٦٠٠٠٠ جرثومة من الجراثيم العفنة فتكون بذلك سبباً في تفشي الأمراض المعدية كالحمى التيفودية والسل والكوليرا.. الخ. وأثبت الباحثون في معمل من معامل نيويورك الكيماوية أن الذبابة الواحدة تحمل في ممصها ١٠٠٠٠٠٠ جرثومة من جراثيم المواد البرازية،فإذا سقطت هذه الذبابة في إناء اللبن مثلا ولامست العين فلا شك في أنها تصيب شاربه بتلك الأمراض، كما تصيب العين بالإصابات الرمدية التي كثيرا ما تذهب بها ولقد كانت السبب في تفشي الحمى التيفودية بين الجنود الأمريكيين في جزر الفلبين والالتهاب المعدي المعوي بين الجنود الإنجليز في أفريقية الجنوبية.

ولما كانت الذبابة الواحدة تبيض في منتصف افريل ١٢٠ ذبابة النصف منها إناث فإنه يتناسل من بناتها الستين ومن أحفادها خلال الثلاثة الأشهر التالية ٢٥٩٢٠٠٠٠ ذبابة النصف منها أي ١٢٩٦٠٠٠٠ إناث إذا تناسلت بلغ عدد نسلها من شهر سبتمبر التالي ٥٥٩٨٧٢٠٠٠٠٠٠٠ ذبابة. فمن الواجبات التي على الإنسان لنفسه أولا وللاجتماع الإنساني ثانيا أن يستعد منذ شهر أفريل من كل عام لمحاربة الذباب وإبادته، لأنه إذا فعل ولم يبد إلا ذبابة واحدة فقد كفى الإنسانية شر ذلك العدد البالغ من الذباب في شهر سبتمبر. وخير وسائل الإبادة الورق اللزج يطرح في كل غرفة، أو قليل من الفورمول في عشرة أمثاله ماء.

آداب الأذنين والأنف

١- يجب على المرء استخراج ما في أذنيه من الصملاخ[1] الذي إذا بقى فيهما، ورسبت عليه الأتربة، أفضى إلى الصمم.ولا يكون استخراجه أصابع اليد، ولا على مرأى من الناس. لذا يحسن تعود تنظيفهما في الخلوة، عند الانتباه من النوم.

٢- إذا كان تنظيف الأذنين من القذر واجباً، فأوجب منه تنزيههما عن سماع القبيح.فقد قيل "نزه نفسك عن استماع القبيح كما تنزه نفسك عن الكلام به، فإن السامع شريك القائل".

ومن تنزيههما ألا تسترق بهما السمع خلف الجذران والأبواب والحوائل؛ لأن هذا العمل من الخيانة وسوء الأدب. ولا تمدهما عند سماع الأغاني، إلا إلى ما يكون منها داعية نشاط النفس، وبث الأخلاق الفاضلة فيها.

٣- ليس من الأدب ولا من المروءة، الصياح في أذُن الغير، أو النفخ فيها، أو الضرب عليها، أو الجذب منها. ولا يليق بالأهل، ثقب آذان الغلمان، أو تعليق الحلي فيها، فإن هذا بالإناث أجدر، وبهن ألصق.

---

(1) الصملاخ يطلق على داخل خرق الأذن وعلى وسخه أيضا والمراد هنا المعنى الأخير.

٤- مما تشمئز النفس منه، وضع الأصبع في الأنف[١]، والتمخط في اليد، وإلقاء المخاط على الأرض والجدران والمقاعد.

والواجب استجماع المخاط في منديل ينبغي وقت وضعه على الأنف، إسباله أيضاً على الفم، حتى يحجبه عن الأنظار.ويحترز من طرح المنديل على الأرض أو الأثاث بعد ذلك، ومن إبراز طرفه من الجيب.

٥- يحسن أن تحترز بقدر الطاقة، من التمخط أو العطاس[٢] في المجالس، وقطع ما بين الناس من الحديث بالصوت الناشئ عنهما.

(١) من المعلوم أن العظم المقوم لهيئة الأنف غضروفي يتأثر بالضغط وتوالى اللمس. فإذا اعتاد أحد الناس وضع أصبعه في أنفه فإن الغضاريف المقومة له لا تلبث أن تتأثر بهذا الفعل فيتغير شكله إما بانحرافه عن اتجاهه الطبيعي أي باعوجاجه وإما بانبعاجه وإما بغير ذلك.

(٢) في الشرق يشمت العاطس بأن يقال له "يرحمك الله" فيجاوب بقوله "يهديكم الله ويصلح بالكم" والتشميت لا يكون إلا للعاطس الذي يتبع عطاسه بحمد الله فإذا لم يحمد الله لا يشمت- والتشميت عند الإفرنج عادة قديمة جدا وشائعة حتى الآن لاسيما بين رجال الدين حيث يقال للعاطس "بارك الله فيك" وسببه أن مرضا مقرونا بالعطاس فشا في أوربا وقتئذ فكان الناس يشمتون بعضهم بعضا بهذا الدعاء.

آداب الفم والأسنان واللسان

١- يجب تطهير الفم بغسله، وبالاحتراز مما يدعو إلى تصاعد الروائح الكريهة منه.وأفضل وسيلة لنظافته السواك، لخواص فيه[(١)].

٢- حاذر من إتلاف الأسنان باستعمالها في رفع الأحمال الثقيلة، وكسر النقل[(٢)] وأكل المأكولات اليابسة، وقرض الأظافير.

٣- إذا فرغت من الطعام، فلا تتخذ لتنظيف أسنانك: الدبابيس أو الأبر أو أسنان الأقلام أو أطراف المدي؛ بل أقصاب الريش المبرية، أو الأعواد المدببة من الخشب والعاج.وأحسن من هذا كله، أعواد الخلال التي فضلاً عن لينها، تحتوي عنصراً طبيعياً عظيم الأثر في تطهيرهما، وتقويتهما.

---

(١) السواك عود شجر يسمى الأراك ينبت في بلاد العرب،وهو يطيب الفم لاحتوائه أصلا عطريا، ويشد اللثة لقبض فيه، ويقوي المعدة لاحتوائه جوهرا مساعدا على الهضم، ويدر البول، ويذهب الحفر لاحتوائه أملاح الصودا والبوتاسا. والحفر بفتح الفاء هو مرض ميوعة الدم واللثة- وقد وقف علماء الإفرنج على مزايا السواك فمدحوه وحثوا على استعماله. جاء في مجلة "غازتة باريس الطبية" الصادرة بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩١٢ تحت عنوان "العناية بالفم عند العرب" ما يأتي: "بتأثير السواك تصير الأسنان ناصعة البياض واللثة والشفتان جميلة اللون الأحمر. ونساء العرب يعطرن أفواههن بعد السواك بمضغ نوع من الصمغ يسمى في تونس باللبان... وأنه لما يكدر ألا تكون عنايتنا بأفواهنا نحن معشر المتمدنين كعناية العرب بها".

(٢) النقل هو الفواكه الجافة كالجوز والبندق.. الخ.

٤- من الوقار وحسن السمت، ألا تلوك الفم بلسانك أمام الغير، تتحرى به فضلات الطعام ولا تضعه بين الشفتين للاستخفاف.

ومن مكارم الأخلاق، صون اللسان عن الكلام فيما لا يعني، والخوض في الباطل، والراء والخصومة، والتشدق، والمزاح الذي يتعدى الحشمة، والاستهزاء، وإفشاء السر، والكذب في القول والحلف والوعد، إلى غير ذلك من رشقات اللسان ومهلكاته.

آداب التثاؤب والعطاس والبصق

١- إذا شعرت بالحاجة إلى التثاؤب، فاستر فمك بالكف، أو انتح ناحية إذا لج بك التثاؤب، حتى لا يتسرب إلى وهم الحاضرين أن في وجودهم ضجرك.

ومن التنطع: الكلام أثناء التثاؤب، والتثاؤب بدوي.

٢- إذا أخذك السعال، فضع منديلك على فمك، كيلا يطير رشاش اللعاب منه على وجوه مجالسيك، أو انتبذ مكاناً حتى ينصرف السعال.

٣- من سلامة الذوق، إذا أحس المرء بالحاجة إلى البصق، أن يبصق في منديله وأن يحذر البصق من النوافذ وعلى الجدران والفرش، وأن يراعى في حالة البصق، تحويل وجهه قليلاً عن الحاضرين، وأن يكون بصقه بلا صوت ولا جهد.

آداب اليد والأصابع

١- اليد أكثر أعضاء الجسم تعرضاً للمس الأشياء، لهذا ينبغي تعهدها بالغسل والتنشيف، قبل الطعام وبعده.وفي وجوب تعهدها بالنظافة، ورد حديث: "إذا نام أحدكم وفي يده غمر[١] فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه" وحديث "إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده، فإنه لا يدري أين باتت".

٢- من أخص ما ينبغي لك اتقاء لمسه، الكتب القديمة وأوراق اللعب وقطع أدوات اللهو، كأحجار النرد والشطرنج وغيرهما؛ فإن هذه الأشياء، فضلاً عما في بعضها من بواعث إضاعة الوقت في الباطل، تفضي إلى الإصابة بالأمراض القتالة لاسيما السل الرئوي.

٣- كما يجب تطهير اليدين من القذر، ينبغي قبضهما عن الأذى والأضرار بالناس.فلا تكن إذاً سريع المبادرة برفعهما على الغير للبطش به، ولو كان معتدياً. فرب ضربة باليد أصابت مقتلاً، فأصبح الضارب في عداد المجرمين[٢].

---

(١) الغمر بفتح الغين والميم ريح اللحم.

(٢) في قانون العقوبات المصري نص صريح يقضي بعقوبة من يرتكب هذه الجريمة تراه في المادة ٢٠٠ من هذا القانون وهو: "كل من جرح أو ضرب أحدا عمدا أو أعطاه مواد ضارة ولم يقصد من ذلك قتلا ولكنه أفضى إلى الموت يعاقب بالأشغال الشاقة أو السجن من ثلاث سنوات إلى سبع".. الخ.

٤- من علامات التوقير للشيوخ والعلماء والعظماء تقبيل اليد، وهي عادة لا بأس بها.أما تقبيلها لغيرهم، فقد يكون: إما عن هلع، أو عن ضعة نفس، أو عن قصد الخديعة، وكل أولئك ممقوت.

دخل رجل على الخليفة عبد الملك بن مروان[1] فقبل يده وقال: "يدك يا أمير المؤمنين أحق بالتقبيل لعلوها في المكارم، وطهرها عن المآثم وإنك لتقل التثريب وتصفح عن الذنوب؛ فمن أراد بك سوءاً، جعله الله حصيد سيفك، وطريد خوفك".

٥- اعتاد البعض فرك اليدين إعلاناً بسرور، أو التماساً للحرارة إذا برد الجو وهي عادة إذا أمكن النزوع عنها، كان ذلك ألصق بالأدب.

٦- من الأناة وضبط النفس، ألا تتلمس بأصابعك الأشياء التي تسترعي نظرك، إذ يكفي لقضاء عجبك مما ترى، مجرد النظر إليه عن بعد.

واحذر الإشارة بسبابتك، إلى من يرد ذكره على لسانك، وقصع الأصابع على مسمع ومرأى من الغير.

٧- قص الأظافر واجب في الخلوة، كلما تهيأت بطولها لاحتواء الأوساخ.ويستعمل فيه المقراض فقط لا السكين أو الأسنان[2] وفي

---

(1) هو خامس الخلفاء من بني أمية بويع له بها عقب وفاة والده مروان بن الحكم (سنة ٦٥ هجرية- ٦٨٤ ميلادية) وتوفي (سنة ٨٦ هجرية- ٧٠٥ ميلادية) فكانت مدة خلافته ٢١ سنة و١٥ يوما وكان عاقلا جازما أديباً فقيها. وهو أول من نقش الدنانير والدراهم باللغة العربية سنة (٧٦ هجرية) وكان النقش على الدنانير قبل ذلك بالرومية وعلى الدراهم بالفارسية واتخذ داراً للضرب ونقش على الدراهم "الله أحد الله الصمد".

(2) الظفر مادة قرنية ليست بالصلبة حتى تتفتت ولا باللينة حتى تتعرض الأنامل لما يصيبها بالجراح فهو إذا أحسن وقاية له من تأثير المصادمات والملامسات،ويتجدد مرة في كل ثلاثة أشهر

وجوب تقليمها ورد حديث: "قصوا أظافيركم" وحديث: "لا تتركن من أظافيركن، فإنه أزين لكنَّ".

وقرضه بالأسنان مضر جد لاحتوائه نسبة كبرى من المواد السمية التي تنصرف إليه من سائر البدن،وثبت من إحصائيات أجريت بألمانيا أن تلاميذ المدارس الذين يقرضون أظافيرهم يصابون بأمراض تسبب موت ٩٠ في المائة منهم.

آداب الركبتين والقدمين والساقين

١- يحسن بالمرء وقد أخذ مجلسه ألا يباعد كثيراً بين ركبتيه، ولا يجمع كثيراً بينهما، ولا يشبك عليهما يده، ولا يلف ساقاً بساق. وحسب المرء من هذه الأوضاع ضرراً أنها تعوق دورة الدم، وتحدث الاعوجاج في العمود الفقري، دع عدم لياقتها في المجتمعات.

٢- مما يأخذه الغير عليك إذا وقفت أن تضرب بقدميك الأرض كالجواد الحرن، أو تدور بهما حول نفسك، أو تجرهما على الأرض جراً حين المشي أو تمشي بهما مشية المقعد. والواجب في حالتي سكونك وحركتك، ألا تتصنع لهما هيئات غير عادية.

٣- عليك بنظافة القدمين حتى لا تتصاعد منهما رائحة يتأذى بها مخالطوك ومجاوروك، فيكون نصيبك منهم الازدراء والفرار من معاشرتك.

وليكن ذلك كل يوم مع ما تنظف من أعضاء جسمك. وإن كنت من المصلين، فما أغناك عن هذه النصيحة!

آداب الظهر والكتفين والذراعين

١- يتصنع بعض الفتيان تقويس ظهورهم أثناء المشي أو الجلوس، ليعطوا أنفسهم وقار الشيوخ، وسيماء العقلاء. وفي هذا التصنع، ما يجلب لهم احتقار العارفين بأنهم صغار في جلود كبار. ويهمل آخرون استواء الظهر في القيام والقعود، فيعوج عمودهم الفقري، وتكون نتيجة إهمالهم الحدب. وهو ما يجدر بهم اجتنابه والحذر منه.

٢- إياك وهز الكتفين للدلالة على عدم الرضى أو للإجابة سلباً. لأن الكلام بالكتفين وببعض الأعضاء دون، اللسان يخالف الطبيعة، ويدل على الاستخفاف بالناس والغرور بالذات.

٣- حاذر، إذا كنت سائراً في طريق مزدحم بالمارة، أن تطوح بيديك بشدة؛ لأن هذه الحركة، وإن تكن موافقة للصحة في الخلوة والمتنزهات، لا تحمد مغبتها حيث يشتد الزحام.

٤- من آيات الاستخفاف والتهاون، الاتكاء أثناء الحديث على المناضد أو الوسائد، وملاعبة الأثاث، وتوسد الذراعين، أو تشبيكهما على الصدر، فعل الذليل الخاضع.

وخير الأوضاع للذراعين، إرسالهما معتدلتين إلى جانب الجسم حال الوقوف، أو طرحهما على ظاهر الفخذين أثناء الجلوس.

آداب النظافة

١- النظافة من ألزم الأمور للإنسان وأهمها في حفظ صحته، وتقوية بنيته، وصيانة مكانته في المجتمع.فينبغي إذاً أن تأخذ بها نفسك، لتقوى على أداء واجباتك، وتنال احترام الناس لك.

ومن الدلائل البديهية على ضرورتها، أن العمل بها طلب من الإنسان منذ وُجد، وأن الشرائع كلها متفقة على وجوبها. فالشريعة الموسوية تفرض الاغتسال بالماء قبل العبادة(١)، والشريعة الإسلامية تحتمه تحتيماً لهذا القصد وغيره(٢)، والشرائع الأخرى حافلة بالتعاليم الآمرة به.

٢- تتناول النظافة العناية بالجسم والثياب، وتطهير المسكن. والمنبه الطبيعي إلى ضرورة مزاولتها، حواس الشم والنظر واللمس.

---

(١) جاء في التوراة- إصحاح ٣٠ من سفر الخروج: "وكلم الرب موسى قائلا وتصنع مرحضة من نحاس وقاعدتها من نحاس للاغتسال وتجعلها بين خيمة الاجتماع والمذبح وتجعل فيها ماء فيغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع. يغسلون بماء لئلا يموتوا أو عند اقترابهم إلى المذبح ليوقدوا وقوداً للرب يغسلون أيديهم وأرجلهم لئلا يموتوا ويكون لهم فريضة أبدية له ولنسله في أجيالهم" وفي هذا دليل على أن النظافة كانت لأهميتها مفروضة منذ الأعصر القديمة.

(٢) شددت الشريعة الإسلامية في تحتيم رعاية النظافة وجعلتها الطريق للعبادات. قال تعالى: "إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ويُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" وقال: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ ورَبَّكَ فَكَبِّرْ وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ والرُّجْزَ فَاهْجُرْ" والرجز بضم الراء وكسرها القذر وقال النبي ﷺ: "إن من الفطرة المضمضمة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الأبط الاستحداد وغسل البراجم والانتضاح بالماء والاختتان والاستحداد هو الاحتلاق والبراجم جمع برجمة بضم الباء الظاهر والباطن من مفاصل الأصابع كلها.

فبالشم، يميل المرء إلى الرائحة الزكية، ويتأذى بالرائحة الكريهة، فيتجنب مصدرها، ويزيل أسبابها؛ وباللمس والنظر، يعرف ما لا رائحة له، وما عسى أن يكون الاتصال به سبب العدوى بالأمراض، فيبتعد عنه.

٣- نظافة الجسم تكون بالاستحمام. كل يوم للمستطيع، على أن يكون بالماء الساخن ولو مرة في الأسبوع، لما يترتب عليه من إزالة العرق، والمواد الدهنية التي إذا تراكمت على الجلد، سدت المسام ونشأت عنها الأمراض[١]، فضلاً عن القذر ومستكره الروائح.

وكفى بما يشعر المرء به من النشاط والخفة عقب الاستحمام دليلاً على قيام الجلد بوظائفه.أما غير المستطيع، فيستحم مرة على الأقل في الأسبوع[٢].

٤- إن تجرد الوجه واليدين دائماً، والرأس والرجلين أحياناً من اللباس؛ يعرضها للقذر، سواء بتراكم الأجزاء السابحة في الهواء عليها، أو بملامسة الأشياء القذرة بذاتها. لذا ينبغي تعهدها مراراً في اليوم

---

(١) إن جلد الإنسان عضو تبخير إذ يتصاعد منه يوميا نحو كيلو جرام من الماء، وعضو امتصاص لأنه يمتص بالسوائل التي تلامسه، وعضو تنفس لأنه يمتص الأوكسجين ويطرد حمض الكربونيك كما تفعل الرئة سواء؛ إلا أن عمل الرئة أكثر من عمل الجلد ١٣٥ مرة وقد أثبت العلماء أهمية وظائف الجلد بأن أزيل صوف حيوان وطلي جلده بطلاء لزج لا ينفذ منه الهواء ولا السوائل فأصيب الحيوان باضطرابات انتهت بموته. والأوساخ التي تتلبد على جلد الإنسان تحدث في جسمه من الاضطرابات ما أحدثه ذلك الطلاء بالحيوان. ومن أمراض الجلد الناشئة عن إهمال النظافة الجرب والحكة وأنواع القوب الخ وهي معيبة لكآبة منظرها ولهذا ترى الناس يفرون من صاحبها.

(٢) جاء في حديث شريف: "اغتسلوا يوم الجمعة ولو كاسا بدينار" وفيه إشارة إلى أن الاستحمام ينبغي ألا يقل عن مرة في الأسبوع كما ينبغي أن يستهان المال في سبيله.

الواحد.والقيام بفروض الوضوء، تمهيداً للصلوات الخمس في الدين الإسلامي، كفيل بنظافة تلك الأعضاء وواقٍ للجسم من الإصابة بأمراض كثيرة خطيرة[1].

٥- كفى بالنظافة فضيلة، أنها تدعو إلى توقيرك، وإن لم تكن غنياً ولا عالِماً، فهي زينة من لا زينة له. وإذ كانت هذه مكانة النظافة من الأهمية في حياة الإنسان، فجدير بك أن تعودها نفسك باطنا وظاهراً.

ولا تنسين أن النظافة تدعو إلى حسن الترتيب، وحسن الترتيب يفضي إلى القصد، والقصد يؤدي إلى الثروة التي هي أساس هناء الأسرة، ومن أهم أسباب استحكام عُري الوئام بين أعضائها.

---

(1) من مستلزمات الوضوء تنظيف الفم بالمضمضة مع الغرغرة أي رد الماء أي تصعيده إلى الخياشيم واستنثاره بعد ذلك وغسل الوجه من مبتدأ الجبهة ومنتهى الدمن طولا وبين الأذنين عرضاً مع توصيل الماء إلى منابت شعور الحاجبين والشاربين والعذارين والأهداب وإدخال الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمص. وغسل اليدين إلى المرفقين مع تحريك الخاتم إذا وجد ورفع الماء إلى أعلى العضد ومسح الأذنين ظاهرا وباطنا بإدخال المسبحتين في داخل الأذنين وإدارة الإبهامين على ظاهرهما ومسح الرقبة وغسل الرجلين باليد اليسرى متخللا أصابعهما مع رفع الماء إلى نصفي الساقين.

آداب الثياب والحلي

١- يجب أن تكون نظافة الثياب، ملازمة لنظافة الجسم، ونتيجة له، فإن قذرها مع الجسم، لا يخلى حاملها وصف الاتساخ، كنظافتها مع قذره سواء.

فعليك إذاً بنظافة الثياب، لاسيما المجاسد[1] منها ولا تنس أنك إذا عُنيت بها، ونسقتها على جسمك بما لا يمجه الذوق، ولا ينافي الأدب، رفعت من منزلتك في أعين الناس، وتركت لمهابتك أثراً في نفوسهم.وقد قيل: "حسنُ اللباس، عنوان الأكياس".

٢- إذا جاز للمرء التجمل بالثياب، والخروج إلى الناس في أحسن الهيئات، فليس من الفطنة مجاوزة القدرة، باقتناء الثياب الجامعة إلى جمال الهندام، غلاء الثمن.

فإذن أقل ما وراء هذا السَّرفِ، التعرض للضيق، والوقوع في أزمة الفقر. على أنه يكفي المرء أن تكون ثيابه نظيفة، ليعد من المتجملين.

٣- وكما أن من حسن الرأي، اتقاء السرف في الثياب، من سلامة الذوق اجتناب التأنق فيها، بما يتعدى الحشمة، وعدم اتخاذها آلة للمباهاة والخيلاء.فإنه لا يلتمس الفضيلة من لبسه، إلا من يحس بالرذيلة من نفسه. وفي أولئك الذين يباهون بثيابهم، قال الشاعر:

---

(1) جمع مجسد على وزن (مبرد) هي من الثياب ما يلي الجسد كالشعار.

يا مــن تلــبس أثــواباً يتيــه بهــا تيـه الملـوك علـى بعـض المسـاكين

مـا غـير الجـل[1] أخـلاق الحمـير ولا نقـش الـبراذع أخـلاق الـبراذين[2]

٤- يُراعى في اقتناء الثياب أن تكون ملائمة لثروة المرء، وموافقة في زيها لسنه، ومهنته، ولفصول السنة التي تتقلب عليه.وإذا دعت حرارة الصيف، إلى لبس الثياب الخفيفة، فليراع فيها الكمال، إذ لا يلائم الاحتشام، أن يسير الإنسان في الطريق، عاري الذراعين أو الصدر أو الظهر مثلاً.

٥- حافظ، ما أمكن، على المشاكلة بين ألوان الثياب، والتوفيق بين أجزائها.فلا تتخذها مبرقشة[3] بالألوان المتنافرة في الذوق السليم، ولا مؤلفة من رث وجديد، ولا من طويل وقصير. ولا مفصلة على زي[4] من الأزياء الحديقة، ما لم تتفق عليه الأذواق، ولا يُنافي الكمال والوقار.

٦- صُن ثيابك مما يحدث فيها من يُقع الزيت والبيض والقهوة والزبدة، وحافظ عليها من سرعة البلى والتمزق، بالترفق في طيها، ووضعها في المكان الخاص بها كلما خلعتها[5].

---

(١) الجل ما تلبسه الدابة لتصان بها.

(٢) البراذين جمع برذون وهو الدابة.

(٣) من برقش خلط في اللون. ومنه تبرقش أي تزين بألوان مختلفة، ومنه أبو براقش طائر صغير يتغير لون ريشه ألوانا شتى.

(٤) الزي بالكسر الهيئة والشكل تقول "زي الشرقي مخالف لزي الغربي" وقد اتفق الكتاب العصريون على استعمال هذه الكلمة فيما تؤديه عند الأوربيين كلمة المودة من الممنى.

(٥) قال أبو جعفر. "طي الثياب راحتها وإبقاؤها".

٧- لا تجعل ثيابك طويلة تتجرر أذيالها[١]؛ ففي تطويل الذيل تلف للمال، بشراء ما يزيد عن الحاجة من النسيج (القماش)، وإضرارٌ للصحة. بما يلتصق به من قذر الطريق.

وقد أدركت هذه الحقيقة بلدية فيينا[٢]، فسنت قانوناً يعاقب السيدات اللائي يسحبن أذيالهن في الطريق، بعد أن اتضح لها بالتحليل الكيميائي، أن هذه الأذيال، تحمل جراثيم الأمراض القتالة. ورأى عليّ (ﷺ) رجلاً يجر إزاره، فضربه بمخصرة[٣] كانت في يده. وقال له: "ارفع إزارك لا تأكله الأرض".

٨- يتعمد بعض السيدات في منازلهن، لبس الثياب الرثة، والجلابيب التي لا يليق البروز فيها. فيكون هذا الإهمال سبب تعريضهن لاحتقار الخدم، والأطفال، وكراهية الأزواج، وهو ما ينبغي لهن اجتنابه. كما لا يجب عليهن أيضاً التبرج[٤] في الطرقات، لأن زينة النساء لا تكون إلا داخل منازلهن.

٩- من السرف المذموم في التجمل، بل من دلائل التجرد من الذوق، أن تتختم المرأة بالخواتم، في جميع أصابعها، وبالأساور الكثيرة، في جزء

---

(١) نهى النبي ﷺ عن إسبال القميص والأزار حيث قال: "من جرثومة خيلاء لم ينظر الله له يوم القيامة".

(٢) فيينا عاصمة النمسا بالقرب من نهر الدانوب.

(٣) المخصرة بكسر الميم ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوه. وهي أيضا القضيب الذي يشير به الخطيب إلى الناس إذا خطب. وكان عبد الله ابن أنيس يسمى بذي المخصرة لأن النبي ﷺ أعطاه مخصرة.

(٤) التبرج من تبرجت المرأة إذا أظهرت زينتها للرجال.

كبير من ساعديها. فإن خاتماً واحداً، في إصبع واحدٍ، وسوارين في المعصمين، أظهر لزينتها من إخفاء تلك الأعضاء، تحت الذهب والماس.. أما الرجل فالأليق به، إن تختم، ألا يزيد عن خاتم واحد، في خنصر يده اليمنى.

١٠- أجمل حلية لأذُن المرأة، القرط الخفيف الذي إذا عُلق بشحمة الأذن، لا يؤلمها، ولا يمددها فيشوهها.

١١- احرص على نظافة الحذاء، باجتناب القذر في الطريق، ولا تزر غيرك وأنت عالمٌ بقذره، أو بأنه مكتس بالعثير، بل نظفه عند مساح الأحذية أو في أداة التنظيف، إذا كنت تعلم أن بباب المزور واحدة منها.

١٢- لاستجادة الحذاء، دخل في وقاية البدن من بعض الأمراض.وأول ما ينبغي لك رعايته فيه، ألا تتخذنه مدبب الأطراف، يصيبك بمسامير القدم، ويحدث التفلع[1] الموجب للنتن بين الأصابع، ولا واسعاً غليظاً، تسمع له قرقعة أثناء السير.ويحسن أن يكون واطئ الكعب، لاسيما المرأة، لأن الأحذية العالية الكعب، تصيب أعضاءهن بالضرر.

وهذه (ماري كريستين) والدة ملك أسبانيا الحالي، لاتأنف لكبر قدميها، من لبس الأحذية الكبيرة، التي فيها راحتها. ومن نساء انكلترا،

---

(1) التفلع أو الشقوق في القدم من فلع بمعنى شق أو قطع.

من تكون على جمال رائع، ويتوقف كمال جمالها على صغر قدميها، ثم هي لا تلبس إلا الأحذية الموافقة لهما.

وإذا كان من العيب والغفلة، لبس القبقاب والمنقلين[1] لغير الغرض المقصود منهما بداخل البيت، فمن علامات التجرد من الذوق والفطنة، لبسهما والجلوس بهما أمام الباب.

١٣- الواجب في لبس القلنسوة[2]، طربوشاً كانت أو عمامة، ألا تكون صغيرة لا تغطي الرأس، ولا كبيرة تحتوي الأذُنين وتبتلع الوجه، بل وسطاً بين ذلك، يرتكز مقدمها من الأمام على أعلا الجبهة، ومؤخرها على الطرف الخلفي من الرأس.

١٤- الوضع المناسب للطربوش أو العمامة على الرأس، الاستواء بلا ميل محسوس إلى أحد الجوانب، مع رعاية جعل الزر بين الكتفين، وجعل العمامة بارتفاع واحد وسمك واحد.

١٥- إذا كان لا يلائم الذوق، أن يتخذ اللابس طربوشاً ضيقاً، ويعطي له الأوضاع المنحرفة فوق رأسه فمن الابتذال المزدول، جعل العمامة حوله في منتهى العرض من جهة، وقصارى الرقة من الجهة المقابلة لها. كما يعمل بعض متظرفي المعممين.

---

(١) المنقلان من نقل بمعنى الخف أو الشبشب.

(٢) القلنسوة جمعه قلانس وقلانيس ما يلبس في الرأس. وتقلنس لبس القلنسوة.

وبالجملة، فالتصرف في لبس القلنسوة، بما يفيد أنها جعلت للزينة والبهرجة، لا لستر الرأس ووقايته من أعراض الجو، انتقال من الحشمة إلى الابتذال.

١٦- لا غنى للمرء عن المنديل في حله وترحاله، ونومه ويقظته، ليكون في متناول يده عند الحاجة.

وعادةُ الياباني. أن يحمل طائفة من المناديل المتخذة من ورق الأرز؛ لأنه لا يستعمل المنديل الواحد إلا مرة واحدة، اجتناباً للقذر، ومنعاً للعدوى.

أما في بلادنا، فيحسن أن يحمل المرء منديلين، أحدهما للاستعمال فيما يستقذر، كتنظيف الحذاء، والآخر لغيره، كتنظيف العين أو الوجه.

ولا يصح إبراز المنديل من الجيب، كما لا يليق أن يكون من النسيج الثمين، لاسيما في يد الرجل.

آداب النوم واليقظة

١- في النوم راحة البدن، وتعويض ما فقدته الأعضاء من القوة في النهار، فيجب على الإنسان أن يستوفي قسطه منه، بشرط ألا يذهب فيه إلى ما يؤذي الجسم، ويحول دون القيام بالواجب.والزمن الكافي لينل الجسم راحته بالنوم، سبع ساعات كاملة، على ما قرره علماء الصحة، ما لم يكن الإنسان مريضاً، أو به تعب شديد.

٢- من بواعث حسن الصحة، تعود التبكير بالنوم واليقظة. ولا تكتسب هذه العادة، إلا بتحديد المواقيت لهما. فرتب إذاً هذه المواقيت لنفسك، بحيث لا تكون قبل غروب الشمس للنوم، ولا بعد شروقها لليقظة. واعلم أن شروق الشمس في كل صباح، منبه طبيعي ينهبك إلى ضرورة نهوضك لمزاولة عملك.

كان أرسطو[1] الفيلسوف ثقيل النوم، مع ولعه بالمطالعة والدرس، فكان لخوفه من غلبة النوم عليه، حيث يجب العمل، يتخذ طستاً من نحاس بجانب سريره، فإذا أخذ مضجعه، أخرج يده ممسكاً بها كرة من الحديد،

(١) أرسطو ويسمى أيضا أرسطاطاليس أحد فلاسفة اليونان ولد بمقدونيا سنة ٣٨٤ قبل الميلاد وتوفي سنة ٣٢٢ وعمره ٦٢ سنة وكان تلميذا لأفلاطون ثم انفصل عنه وجمع شوارد العلوم في الطبيعيات والرياضيات وما وراءهما في أسفار كثيرة ترجمت إلى اللغة الفرنسية في ٣٥ مجلدا وسبق للعرب أن ترجموا بعضها. وهو معلم اسكندر الأكبر المقدوني مؤسس إسكندرية.

فكان كلما غلبه النوم، سقطت الكرة من يده في الطست، فيستيقظ لوقته من صوتها الرنان.

٣- لا بأس من السهر أحياناً بشرط الاعتدال إذا قضت به ضرورة الاشتغال بعمل نافع، كمذاكر الدرس، والمسامرة فيما يفيد، والترويح عن النفس باجتلا مناظر الطبيعة في الليالي المقمرة، وحضور تمثيل الروايات المهذبة.

أما قضاء الليل في المقامرة، أو فيما يماثل حفلات الأفراح والموالد، فإنه فضلاً عن ضرره البليغ بالمرء، حساً ومعنى، ينافي مصلحة الاجتماع والعمران، بما يجر إليه من تضييع الوقت، فيما يضر كثيراً، ولا ينفع فتيلا.

٤- الغرض من فراش النوم، طلب الراحة للبدن بالرقاد عليه، فكل عمل تعمله وأنت فيه، كالقراءة والكتابة، والأكل والشرب، يكون من وضع الشيء في غير موضعه.

والقاعدة ألا ينام في كل فراش، أكثر من واحد صوناً لصحته، واتقاء للضرر الذي ينتج من اختلاط الأنفاس.

٥- على الولد البار بوالديه، أن يقصدهما قبل نومه، وبعد استيقاظه ليحييهما، ويطلق لسانه بالدعوات الصالحات لهما.وتستحسن هذه العادة من جميع أفراد الأسرة، بعضهم نحو بعض.إذ يجمل بمن حسنت تربيتهم، ألا يفترقوا للنوم، ولا يجتمعوا بعده، عن سكوت وتناكر، كأن لم تكن بينهم صلة من صلات القرابة والمعرفة.

٦- يجمل بالمرء، إذا هرع للنوم، أن يذكر أنه مقبلٌ على حالة يكون فيها بلا فرق بينه وبين الموتى، وأن يطرح أمامه صحيفة عمله في يومه؛ فإن كان ما فيها خيراً، حمد الله عليه وعاهد نفسه على المزيد منه، وإذا كان شراً، تضرع إليه تعالى، بطلب المغفرة عن ذنبه.

فإن محاسبة المرء نفسه، على ما كسب لها واكتسب عليها في أمور دينه ودنياه، أدعى إلى توطيد قدمه في الخير، ووقايته من الشر. وجدير بمن حاسب نفسه، فرأى منها ما يرضيه، أن ينام نوماً هادئاً لا انزعاج فيه[1].

٧- مما يقتضيه حفظ الصحة، أن يتخذ المرء لنفسه لباساً خاصاً بالنوم، يجب أن يكون بحيث يستريح فيه الجسم، على شرط موافقته للحشمة. ومفهوم أن هذا اللباس، يلبسه صاحبه ويخلعه في خلوته، بدون أن يستعين بأحد.

---

(١) إذا استشعر الإنسان النوم يحسن به أن يقول: "باسمك ربي وضعت جنبي، وبك ارفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" وأن يقول إذا استيقظ "الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وله النشور" وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول ذلك عند نومه ويفظته.

آداب الطعام والشراب

١- لا يكون الغذاء نافعاً للجسم، إلا بالاعتدال فيه، وعدم الخروج منه إلى التخمة المهلكة، التي وردت في التحذير منها آية: "كلوا واشربوا ولا تسرفوا" وحديث: "لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء".

وحد الاعتدال في الغذاء، ما بينه رسول الله عليه الصلاة والسلام، حينما بعث المقوقس(١) إليه هدية وطبيباً، فقبل الهدية ورد الطبيب، حيث قال: "نحن قومٌ لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع" أي لا نبلغ من الأكل الحد الذي نشبع فيه.

٢- من أهم وسائل الاحتفاظ بالصحة، تحديد مواقيت الطعام، والحرص عليها، فإن تحديدها يقي الإنسان شر إدخال الطعام على الطعام، الذي قال فيه الرئيس عليّ بن سينا(٢): "احذر طعاماً قبل هضم طعام"، وأجمع علماء الطب على أنه من الأعراض القتالة للمرء.

---

(١) المقوقس لقب كان يطلق على حكام مصر من قبل دولة الروم ومعناه باليونانية "الحاكم" والمقوقس الذي أهدى رسول الله ﷺ هدية وطبيبا هو جورج بن مينا حاكم مصر من قبل الملك هرقل وكان العرب يسمونه "عظيم القبط" وهو يوناني الأصل إلا أنه كان كثير العطف على الأقباط.

(٢) ابن سينا المعروف عند الإفرنج باسم افيسين هو أبو علي الحسين الشيخ الرئيس (ولد سنة ٣٧٠ هجرية- ٩٨٠ ميلادية) وتوفي (سنة ٤٤٨ هجرية- ١٠٣٦ ميلادية) قرأ كتب المنطق والطبيعي والرياضي والطب ومهر فيها علما وعملا في السنة السادسة عشرة من عمره. ثم قرأ العلم الإلهي وما بعد الطبيعة فأتى عليهما في الثامنة عشرة. ومن مصنفاته قانون

وكفى من يدخل الطعام على الطعام خزياً، "أنه يعيش ليأكل، لا يأكل ليعيش" كالحيوانات السائمة، في المرعى الخصيب.

٣- إذا كان من الشره، أن يأكل المرء فوق حاجته، أو كلما سوَّلت له نفسه، غير مقيد بميعاد محدود، فمن الشره المقرون بالسرف والحمق، أن يطيع شهوات بطنه، ويلبي نداءه، فيأكل كل ما يقع إليه، وينفق في هذا السبيل، ما استطاع من مال.

سئل أحد ملوك الروم: "ما تعدون الأحمق فيكم؟" فأجاب: "الذي يملأ بطنه من كل ما وجد".

فخليق بمن يعلم أن المعدة بيت الداء، ألا يسوق إليها من مواد الغذاء المتنوعة، ما يجعله رهين الأمراض والأسقام.

٤- من النصائح الجامعة لنظام التغذي، قول أبي عثمان الثوري لابنه: "أي بني! عوّد نفسك مجاهدة الهوى والشهوة: فلا تنهش نهش السباع، ولا تخضم[١] خضم البراذين، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج، ولا تلقم[٢] لقم الجمال، فإن الله جعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة. واحذر سرعة الكظة[٣]، وسرف البطنة[١]، فقد قال بعض الحكماء: إذا كنت نهماً[٢] فعد نفسك من الزمني[٣].

الشفا والنجاة في الطب وقد ترجم القانون إلى الفرنسية وكان يدرس بجامعة مونبلييه إلى أواخر القرن الثامن عشر وكانت وفاته بهمذان.

(١) من خضم أكل بأقصى الأضراس مع مجموع الفم.

(٢) من لقم أكل وابتلع بسرعة.

(٣) الكظة من كظ ملأ الإناء ومعناه امتلاء المعدة بالأكل.

وأعلم أن الشبع داعٍ إلى البشم(٤)، والبشم داع إلى السقم، والقسم رسول الموت. ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتةً لئيمةً، لأنه قاتل نفسه، وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره.

"أي بنيَّ.. قد بلغت تسعين عاماً، ما نقصت لي سن، ولا أنقشر(٥) لي عصب. ولا عرفت دنين(٦) أنف، ولا سيلان(٧) عين، ولا سلس(٨) بول، ما لذلك علةٌ إلا التخفيف من الزاد، فإذا كنت تحب الحياة، فهذا سبيل الحياة".

٦- أرأيت ذلك يتحين أوقات الطعام عند جيرانه، أو الذين لهم به صلة معرفة، فينساب إليهم على غِرَّة منهم؟ أو ذلك الذي يجوس خلال الديار، ارتياداً لولائم الأفراح، كي يندس بين المدعوين؟ ذلك هو الطفيلي الساقط الهمة، الصغير النفس، الذي يعرض كرامته للامتهان، لأنه مع قدرته على إرضاء بطنه بشهي الطعام، يفضل أن يكون امتلاؤه به من مائدة الغير، بما ركز في طبعه من الطمع والبخل.

---

(١) البطنة هي والكظة سواء.

(٢) النهم هو المفرط في الطعام.

(٣) الزمني هم المبتلون بالأمراض.

(٤) البشم هو التخمة.

(٥) أنقشر بمعنى انسلخ وتجرد من غشائه.

(٦) دنين الأنف نوع من النزيف.

(٧) السيلان من سال جرى وسيلان العين جريان مائها.

(٨) سلس البول هو أن لا يستمسكه الإنسان فيخرج في غير ميعاده.

وغشيان الناس على موائدهم، من المذمومات المحرمة في جميع الشرائع. وقد ورد فيه حديث: "من مشى إلى طعام لم يدع إليه، مشى فاسقاً، وأكل حراما".

٧- لا ريب أن الطعام يكون شهياً، إذا دار الكلام أثناءه، على ما يكون فيه بسط النفس، وانشراح الصدر.فمما يحسن توجيه النظر إليه، اجتناب الأحاديث المهيجة للانفعالات النفسية على الطعام، كالمناقشات السياسية والدينية والمباحثات العلمية العويصة، لأنها تهيج تلك الانفعالات فينشأ عنها عسر الهضم.

قال رسول الله ﷺ: "تحدثوا على الطعام ولو بثمن أسلحتكم". ذلك لأن الحديث على الطعام، فيما لا يثير الخواطر من الموضوعات، ادعى إلى كثرة المضغ، فسرعة الهضم.

وكان المستر غلادستون[١] يقول: "ما استطعت المثابرة على العمل، وقد تجاوزت الثمانين من العمر، إلا برعاية ثلاثة أمور: التخلي عن كل عمل يوم الأحد، وإصلاحي أرض حديقتي بيدي، والكلام على الطعام، بحيث أمضغ كل لقمة ثلاثين مرة"[٢].

---

(١) غلادستون هو وليم أيوارث ولد بليفر بول سنة ١٨٠٩ وتوفي بهواردن سنة ١٨٩٨ ولي رياسة الوزارة الإنكليزية أربع مرات ثم اعتزل السياسة سنة ١٨٩٤ وفي وزارته الثانية من ١٨٨٠-١٨٨٥ احتل الانكليز مصر.

(٢) ظهر ببلاد أمريكا أخيراً مذهب يسمى "فلتشر يسم" نسبة إلى مؤسسة المستر فتشر. وهو يقصى على الآخذين به إطالة المضغ حتى يصير الطعام سائلا قبل ابتلاعه وكان هذا الرجل مريضا ومشرفا على الموت فخطر له أن يمضغ الطعام هكذا فنجا من الموت وأسس هذا المذهب.

٨- من الشمائل المحمودة، تضرع المرء إلى الله سبحانه وتعالى، ولو في نفسه، كلما جلس إلى الطعام، بأن يديم إسباغ هذه النعمة عليه، وأن يبارك له في رزقه.وكما يبدأ الطعام بهذه الضراعة، يختمه بحمد الله وشكره على نعمته[1].

(1) كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول عند بدء الطعام "اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه" وعند قيامه عنه: "اللهم اجعله هنيئا مريئا وأبقني بعده قائما بشكرك محافظا على طاعتك".

آداب الدعوة إلى الوليمة

١- ينبغي ألا يقصد الداعي بالدعوة إلى الطعام، حب الظهور والمباهاة، بل توثيق المودة، أو تكريم ذي فضل، أو ما جرى هذا المجرى من الأغراض الحميدة.

والدعوة تكون: إما باللسان، وإما بالكتابة. فإذا كانت باللسان فليس الميعاد فيها بشرط، لأنها إنما تكون بين أناس ارتفعت من بينهم الكلفة.

لهذا لا يليق بالمدعو، أن يجبه الداعي بالرفض، ما لم يتسع له في ذلك صدر العذر.وإذا كانت بالكتابة، فمن الواجب المبادرة بالإجابة عليها، إما قبولاً، وإما رفضاً. وتكون الإجابة بالقبول مقرونة بالشكر، وبالرفض متضمنة جميل الاعتذار. وحكمة المبادرة بالإجابة، أن يتبين الداعي من أجابوا دعوته، فيرتب المائدة، ويهيئ الطعام بحسب عددهم.

ومن الدعوة باللسان، ما يكون وقوعه اتفاقاً، كأن يدعى أحد أصدقائك وأنت شاهد، فتدعى بحكم التبعية. والواجب في هذه الحالة رفض الدعوة قطعاً.

٢- من سلامة الذوق، أن تجمع تذاكر الدعوة، بين بساطة الشكل، اختصار العبارة، واقتصارها على ما يؤدي بالدقة معنى الدعوة، ومكانها، وزمانها.

فيحسن إذاً أن تكون تلك التذاكر، من الرقاع المستطيلة الشكل، المتوسطة الحجم، الخالية الحواشي والأركان، من آثار الذهب، والرسوم، والرموز، وأن تطبع الحروف بالحبر الأسود دون غيره..كما أن الأليق في تحرير عبارتها، البعد عن الإسهاب والتكلف، فلا تصدر بالأبيات الشعرية، أو الأحاديث النبوية، ولا يفتح للسجع البارد في سطورها مجال.

٣- جرى المصريون في دعواتهم، على عادات ينبغي لهم العدول عنها، لمخالفتها أصول الآداب الاجتماعية، ومنافاتها للعقل والذوق.منها: أن يؤكد الداعي، أنه يدعوك لشرب قدح من القهوة، فإذا هو قد أعد لك طعام وليمة، وربما كنت قائماً عن مائدتك في هذه الساعة، فيكون بمثابة من يدعوك إلى إدخال الطعام على الطعام.

ومنها: الإكثار من ألوان الطعام، مع الانتقال فيها من الحامض إلى الحلو، ومن البارد إلى الساخن، ومن كل نقيض إلى نقيضه.

ومنها: عدم التمييز في الدعوة بين المدعوين، فترى المائدة الواحدة تجمع حولها، مدعوين يختلفون في الأعمار والمقامات، والصنائع، ويجهل الجميع بعضهم البعض.

ومنها: تحديد ميقات الدعوة في الساعة العاشرة، على الاصطلاح العربي نهاراً، وليس هو ميقات طعام، في اعتقاد الداعي، لأنه لا يأمر بمد الموائد فعلاً، إلا بعد ذلك بثلاث ساعات.

وكفى هذه العادات حطة، أنها مؤسسة على الكذب، والسرف، والجهل بالذوق والمناسبات.

٤- من فطنة الداعي وكياسته، ألا يدعو من يعلم أن الإجابة تشق عليه لسبب ما، وألا يجمع حول مائدته إلا من تآلفت طباعهم، وتشابهت ميولهم، ومذاهبهم، حتى لا يتأذى بعضهم ببعض.وليس للمدعو أن يميز الداعي الغني بإجابة دعوته دون الفقير، لأنه يخرج من هذا الاحتياط، إلى التكبر المذموم[1].

٥- للمدعو أن يرفض الدعوة التي يعلم أن سيكون فيها من أسباب الطرب واللهو، ما لا يناسب مركزه، ولا يتفق مع قواعد الدين والأدب.

٦- ليس لمدعو أن يقترح على الداعي طعاماً بذاته، أو يتحكم بطلبه.فربما كان الإنفاق عليه فوق طاقته، أو لم يكن في بيته من يكون عالماً بتهيئته. وهذه العادة مستقبحة، وإن تكن مألوفة في الأقاليم؛ والعدول عنها واجب.وإذا خير الداعي مدعوه بين طعامين. فمن العفة أن يتخير المدعو أيسرهما مؤنة وأقلهما كلفة.

٧- الميقات المبين في تذكرة الدعوة، ميقات الجلوس إلى المائدة، والشروع في الأكل،لذا يليق أن يكون توارد المدعوين، في غضون الخمس عشرة دقيقة السابقة عليه، لا قبلها، خشية أن ينصرف الداعي عن الاهتمام بتدبير المائدة، إلى الاحتفاء بهم.

---

(١) كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن بن علي بقوم من المساكين يأكلون فسلم عليهم فقالوا: "هلم إلى الغذاء يا ابن بنت الرسول" فقال: "نعم إن الله لا يحب المستكبرين" ثم نزل وأكل معهم.

ويحسن برب الدار، خلال تلك الدقائق، أن يعرف المدعوين بعضهم ببعض، إذا اتفق أن منهم من لم يرتبطوا برابطة التعارف، لكي إذا قاموا إلى المائدة، لا يكون إحجام عن كلام، أو حياء على طعام.ومتى دنا الميقات، تقدم الداعي إلى مدعويه، راجياً منهم أن ينهضوا إلى الطعام.ولا يليق بمدعو، مهما يكن عذره، أن يتأخر دقيقة واحدة عن الميقات.

٨- على الداعي أو من ينوب عنه، تعيين المقاعد للمدعوين، وعلى هؤلاء ألا يهتموا بالأماكن المخصصة لهم، إذا كانت معينة من قبل بأسمائهم.وترتيب الجلوس على المائدة، أن يتوسطها الداعي ويجلس تجاهه أكبر المدعوين شأنا، أو الذي لأجله أقيمت المأدبة؛ ثم يتلوهما بترتيب الأقدار، من يجلس إلى يمين الأول، ثم من يجلس إلى يمين الثاني، ثم من يجلس إلى يسار الأول، ثم من يجلس إلى يسار الثاني، ثم من يامن الجالس إلى يمين الأول، فمن يامن الجالس إلى يمين الثاني، ثم من ياسر الجالس إلى يسار الأول، فمن ياسر الجالس إلى يسار الثاني، وهكذا.

الآداب الواجبة على المائدة

١- من آدب أوضاع الجسم، إذا أخذ المدعو مكانه من المائدة، أن يكون في استقامة، فلا يكب به إلى الأمام، ولا يرمى به إلى الخلف، ولا يولى بظهره إلى أحد الجالسين يمينه أو يساره، ليقبل بوجهه على الآخر، إذ الواجب لفت الرأس فقط يمنة أو يسرة، تبعاً لحاجة الحديث.

وليس له أن يستند بالمرفقين على حافة المائدة، بل بمعصمي اليدين فقط، كما لا يليق الانسحاب أثناء الطعام، إلا لعذر بين، يسر به في أذُن الداعي. وفي هذه الحالة، يحسن ألا يستفسر أحدٌ عن سبب انصراف ذلك المدعو فجأة.

٢- يطرح المنديل على الفخذين. ولا يناط بالرقبة ولا بثنيات الثياب. وفي نهاية الطعام يجعل إلى جانب الصحفة، بحيث لا يشغل مكاناً كبيراً. وينبغي إذا وُضع للأطفال أن يغطي صدورهم، وقاية لملابسهم.وإذ كان الغرض من المنديل وقاية الملابس من القذر، ومسح الشفتين عند الحاجة، فمن المستقذر استعماله في مسح الوجه، أو أعضائه.

٣- لا يحسن بمدعو، أن يقلب أدوات الأكل أثناء الطعام، أو يطيل فيها النظر، أو يقرأ الكتابة التي عليها، كأنها كانت فاقدة، وظفر بها.

٤- إذا فرط من الخادم خطأ أو تقصير، في الخدمة، فمن الصواب ألا يؤاخذه مولاه عليه جهراً، وإنما ينبهه إلى إصلاح خطأه، بلطف وبدون

أن يشعر به أحد.وله بعد انصراف المدعوين، أن يعزره ما شاء، فيتقي بهذا الاحتياط، ما يحتمل وقوعه من سوء أدب الخادم، قولاً أو فعلاً.

٥- يغرف الحساء[١]، وتوضع صحافه على المائدة، قبل جلوس المدعوين بشرط ألا يتجاوز ملء مغرفة كبيرة، وإلا ملأ المعدة، وحال دون تناول الألوان التالية.ولا تصح إعادة الطلب منه. وإذا بقي بعضه في قاع الصحفة، وتعذر تناوله بالملعقة، فمن حطة النفس التحيل على إصابة هذه البقية، بإمالة الصحفة، أو بسكب ما فيها في الملعقة. وتترك الملعقة في الصحفة، بعد تناول ما فيها. ويحسن في شرب الحساء، أن يكون من جانب الملعقة، وألا يمص مصاً.

٦- يبدأ بتقديم الطعام إلى الجالس يمين الداعي، ثم إلى الجالس يساره، ثم إلى الجالس يمين الأول، ثم إلى الجالس يسار الثاني، وهكذا بالتناوب.ولا يقدم إلى رب الدار إلا في آخر الجميع.

ذلك إذا لم يكن هناك مدعو مقصود إكرامه بالذات؛ فإذا وُجد، وكان الجلوس بحسب المقام وخطورة الشأن، كان تقديم الطعام إلى المدعوين، تبعاً لمقاماتهم (راجع الفقرة الثامنة من الباب المتقدم).

وتقدم الأطباق التي يأخذ المدعوون منها حاجتهم، من جانبهم الأيسر. ولا بأس من إعادة عرض كل لون ثانياً عليهم؛ وإنما يكون من حسن الذوق، التلطف في الامتناع.

---

(١) الحساء هو الشوربة.

٧- من القواعد المألوفة تغيير المدى والأشواك عند كل لون، لكن لا بأس من إغفال هذه القاعدة، على موائد متوسطي الحال، وغير القادرين على اقتناء أدوات الأكل الكثيرة، إذ يكفي استعمال سكين واحدة، لكل آكل، ما لم يكن ضمن الألوان سمك، إذاً ينبغي تخصيص مدية وشوكة لأكله.

٨- مما ينافي الذوق، أن يحبذ الداعي طاهيه، وأن يذكر أنه انفق كذا وكذا على الطعام، وزخرفة المائدة.ومما تأباه نفس الكريم، إذا لحظ تقصيراً في الخدمة، أو نقصاً في تهيئة الألوان، التورط في قول أو فعل، يقصد بهما إعلان درايته بهذا النقص.

٩- من إمارات حب الذات، استئثار المدعو بأخذ آنية الطعام العامة، كآنية الملح والفلفل، لذلك يجدر به، إذا أخذ حاجته منه، أن يجعله في موضع تصل إليه أيدي بقية المدعوين.

وعلى الأصغر سناً في موائد الطعام، أن يلحظ بعين رعايته الشيوخ وأصحاب المكانة في العلم والرياسة، ويتطوع لقضاء ما يريدونه، بلا تكلف في ذلك ولا رياء. ولا شك أن هؤلاء، يعرفون له حق هذه الكرامة، بالشكر والامتنان.

دعا هارون الرشيد[1] يوماً أبا معاوية الضرير، فصب الرشيد الماء على يده في الطست؛ فلما فرغ قال: يا أبا معاوية، أتدري من صب الماء على

(1) أبو محمد وقيل أبو جعفر هارون بن محمد المهدي هو خامس الخلفاء من العباسيين بويع له (سنة ١٧٠ هجرية- ٧٨٦ ميلادية) وتوفي (سنة ١٩٣ هجرية- ٨٠٩ ميلادية) ارتقت في أيامه الآداب والعلوم بما منحه من الحماية والرعاية لأربابها. وكان سمحا شجاعا كثير الحج والغزو

يدك؟ قال: لا. قال: صبه أمير المؤمنين. قال: يا أمير المؤمنين، إنما أكرمت العلم وأجللته، فأجلك الله كما أجللت العلم وأهله.

١٠- لا يحسن بمدعو، تحديق النظر في بقية المدعوين وهم يأكلون، لكي لا يخجلوا، أو فيما بين أيديهم، من أطباق الفاكهة والحلوى، كما لو كان يروم الاختصاص بها من دونهم.وإذا عرض جاره عليه مشاركته في طعامه، فعفة النفس تقضي بالامتناع، ولو ألح الطالب.

١١- خليق بالمدعو أن يجري على المعتاد في أكله، فلا ينقص من عادته حين يأكل وحده وإلا كان إقلاله من الطعام عند الاجتماع، تصنعاً ورياء.وأثقل الضيوف من يحوج غيره إلى تعهده في الأكل.

١٢- إذا عرض على مدعو صنف من الطعام، ليأخذ منه حاجته، وكان هذا الصنف مما تأباه شهيته، وترفضه معدته، فيحسن به التلطف في الاعتذار عند الامتناع، وعدم ذكر أسباب الرفض كائنة ما كانت.

دُعي رسول الله ﷺ مرة، فقدم إليه ضب(١) مشوي فعافته(٢) نفسه. ولكنه لم يبغضه للداعين، فقالوا: أو حرام أكله يا رسول الله؟ قال: لا ولكنه ليس من طعامي فكلوه وهو حلال.

حج في خلافته ثماني وقيل تسع حجج وغزا ثماني غزوات. وفي خلافته توفي مالك بن أنس صاحب مذهب مالك. ووزراؤه يحيى بن خالد بن برمك وابناه جعفر والفضل وقد نكبهم سنة ١٨٩ هجرية.

(١) الضب حيوان دون العنزة جمعه ضباب وأضب.

(٢) عاف الرجل الطعام والشراب يعافه عيافة كرهه.

١٣- إذا تناول المدعو طعاماً شديد الحرارة، أو لم يألف طعمه، ثم لم يجد بداً من لفظه، فمن حسن الاحتياط، أن يرفع الصحفة إلى فمه ويلفظه فيه، ثم يبادر بتسليمها إلى خديم السماط[١].

وإذا كان الشيء المراد لفظه قطعة عظم، أو بذرة فاكهة، أو غير ذلك مما يتفق وجوده في الغذاء أحياناً، فلا بأس من تلقيه في الكف، بحيث لا يشعر الحاضرون.

١٤- إذا رأى المدعو في الطعام شيئاً تضطرب منه النفس، فمن سلامة الذوق وحسن التسامح، التغاضي عنه، حتى لا يخجل صاحب الضيافة، أو يتنبه المدعوون، فينالهم من تقزز النفس ما ناله، أو يقعوا في خطيئة الانتقاد.

١٥- لا يليق بالأدب، أن يأكل المدعو الخبز وبيده سكين أو شوكة، أو يملأ الملعقة بالحساء حتى الحافة، أو يمسك الشوكة بيسراه حين لا حاجة له بقطع اللحم، أو يأخذ الملح بيد الشوكة أو الملعقة، أو يستعمل بعض أدوات المائدة لغير ما جعلت له، كأن يأخذ المطعومات الجامدة بما تؤخذ به المطعومات السائلة، والعكس بالعكس أو يكسر الخبز بالمدية دون أصابع اليد.

١٦- إذا علق باليد دسم أو وضر[١]، فمن حطة النفس مسحها في خوان السفرة، وإنما تمسح اليد في منديل الطعام، ولا يليق تنفيضها في الصحفة، أو تنفيض المنديل فيها من فتات الطعام وبقاياه.

([١]) خديم السماط هو الخادم الذي يتولى ترتيب الطعام وتقديمه للمدعوين والسماط هو مائدة الطعام.

ولا يتفق مع النظافة تسخير الأصابع في أكل اللحم بدلاً عن الشوكة؛ وإنما إذا كان اللحم من الشراسيف[٢] أو الطيور، يجوز إمساكه بالأنامل من أطراف العظم والأكل منه، مع اجتناب بواعث القذر.والعظام التي تجرد من اللحم، يضعها الآكل على حافة الصحفة مما يليه.

١٧- إذا قدمت إليك القهوة أو الشاي، فلا تسكبهما في أطباق الفناجيل، لأن هذا الفعل، فضلاً عما فيه من القذر، يناقض آداب الطعام.وإذا وقع مدعو في هذا الخطأ عن جهل أو حسن نية، فليس لمدعو أن يلاحظ عليه، أو يهزأ به.

ومما يروى في هذا الموضوع، أن أميراً دعا قروياً إلى تناول الطعام في قصره، فصب القروى الشاي في الطبق، ثم تناوله، فضحك بعض المدعوين، فاستاء الأمير لذلك، وصب الشاي في طبقه اقتداءً بالقروى، حتى لا يتأذى من فعل أولئك المستهزئين.

ومن دلائل الإهمال في شرب الشاي، ترك ملعقة السكر فيها أثناء الشرب، فينسكب بسببها هذا الشراب على الثياب. والواجب وضع الملعقة في الطبق، عند الفراغ من الحاجة إليها.

١٨- حري بمن حسن تأديبه، ألا يقتدي بأصحاب البطنة والشره، الذين يسقطون على الطعام، فلا يحشون به أفواههم، حتى يقذفوا به من غير مضغ إلى قرار معداتهم.

---

(١) الوضر أثر المطعومات كالسمك واللحم الخ في اليد.

(٢) الشراسيف هي الضلوع المعروفة بالكستليتة في لغة المطاعم.

وواجب تصغير اللقمة، والإطالة في مضغها، حتى لا يغص بها الآكل، أو يضطر في ابتلاعها، إلى تجرع الماء تباعاً.

ومما ينافي الذوق وتمجه النفس، شم اللحم والخبز قبل وضعهما في الفم، وقضم الخبز بالأسنان، ثم غمسه في الصحفة، ورفع قدح الماء إلى الشفتين باليدين معاً، والشرب أثناء امتلاء الفم بالطعام، والكلام أثناء المضغ بحيث تتناثر أجزاء الغذاء من الفم، على وجوه الآكلين وفي صحافهم، والتمطق، والتلمظ لاستخراج ما يتخلل الأسنان من بقايا الطعام، والتكلم مع شخص بينه وبين المتكلم مدعو أو أكثر، والقراءة أياً كانت.

١٩- البيض نصف الناضج[١] يكسر من رأسه الفرطاح[٢]، لا من رأسه المدبب، ولا من وسطه. وتوضع قشوره، بعد أكل ما فيها، في الصحفة، ثم تكسر بملعقة أو سكين، كيلا تبقى حافظة شكلها البيضاوي فتتدحرج وتسقط على المدعوين، عند رفع الصحاف. ويوضع الملح أو الفلفل في البيض، بالملعقة الخاصة بهما.

٢٠- تقشر الفاكهة بالسكين والشوكة، بعد قطعها أربع أرباع، وتوضع القشور والبذور على حافة الصحفة. ولا يصح إلقاء بذورها من الفم

(١) هو المعروف بالبيض البرشت والبرشت كلمة دخيلة من الفارسية وأصلها النمبرشت أي نصف الناضج.

(٢) الرأس الفرطاح أو المفرطح من البيضة هو الطرف العريض منها،ويقال أيضاً مفلطح. وحكمة الكسر منه أنه يليه قضاء (غرفة) مملوء بالهواء فقد يكسر القشر حواليه ولا ينسكب زلال البيض أثناء ذلك.

في الصحفة، أو في اليد، بل تقرب الملعقة من الفم، لإلقائها فيها ثم في الصحفة.

٢١- المأكولات التي لا بأس من إمساكها باليد، هي: الشرايف، والطيور، والهليون، والفجل، والفطائر الجافة، وكل ما لا تدعو ملامسته إلى قذر اليد.

الآداب الواجبة بعد تناول الطعام

١- يعود المدعوون، بعد تناول الطعام، وغسل الأيدي، إلى بهو الاستقبال، بمثل النظام الذي جاؤا به منه. ويحسن ألا يؤمهم صاحب الدعوة إليها كما تقدمهم منها إلى غرفة الطعام، إشعاراً بارتفاع الكلفة، وزوال الوحشة.

٢- جرت العادة بأن يقضي المدعوون جنحاً من الليل في السمر، على أثر تناول الطعام.فالانصراف مباشرة بعد الأكل، لا يطابق مقتضى الذوق، ولا واجب المجاملة، اللهم إلا إذا كانت له ضرورة سبق الكلام فيها مع الداعي، دفعاً لتوهم الغير أن إجابة الدعوة، كانت لمحض الرغبة في تناول الطعام.

والمدة التي يحسن بالمدعو قضاؤها بعد الطعام في بيت الداعي، ساعة أو بعض الساعة، ولا يكون انصرافه إلا بإذن منه.

٣- إذا استأذن مدعو في الانصراف، فليجتنب ما استطاع توديع بقية المدعوين، منعاً لما عساه أن يقع من اختلال النظام لهذا السبب.وعلى الداعي، أن يشيعه إلى باب الدار، ويزوده بعبارات المودة والتكريم.

٤- جرى الأوربيون على عادة لا بأس بها لمن يروم الاقتداء، وهي زيارة المدعو داعيه خلال الثمانية الأيام التالية للوليمة. وتسمى هذه الزيارة عندهم بزيارة الهضم؛ والأليق التعجيل بها.



آداب التحية والتعارف

١- اعتاد الناس في مقابلاتهم، أن يتبادلوا من العبارات والإشارات، ما يشف عن شعائر الود والتسليم. ويختلف السلام بحسب حال المسلم عليه، فيفيد الاحترام له، إذا كان شيخاً جليلاً، أو عالماً فاضلا، أو رئيساً مطاعاً، أو المودة، إذا كان من النظراء والأنداد، أو العطف والمجاملة، إذا كان من المرؤوسين.

٢- تبادل السلام لا يكون عادة إلا بين المرتبطين بصلة المعرفة، ولكن لا ضير من إفشائه في غيرهم، لاسيما إذا كان موضع اللقاء معهم، طرقات الأرياف، والأماكن العاطلة من المارة.

ومن المأثور عن فضل إفشاء السلام، قول الملك هنري الرابع(١): "عجبي ممن يستغنى عن النظافة، وقطرات من الماء تطهره، أو عن الأدب، ورفع يده بالسلام يدل على حسن تربيته".

ومما ورد في وجوب السلام، أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وهو في بيته، فقال: أ لج؟ فقال عليه الصلاة والسلام لخادمه: أخرج إلى هذا فعلمه السلام والاستئذان، وقل له يقول: السلام عليكم! أدخل؟

---

(١) هنري الرابع ملك جليل من ملوك فرنسا خلف هنري الثالث سنة ١٥٨٩ ميلادية وقتل سنة ١٦١٠ كان ملكا شجاعا مهابا استخلص المملكة من أيدي الشيع والعصابات التي كانت اغتصبتها حيث دحر زعماؤها وأنصارها في واقعتي آراك وأيفري وأصدر المنشور الشهير بمنشور نانت الذي وضع به حدا للاضطهادات الدينية وأدخل الإصلاحات العميمة النفع في بلاده.

٣- المصافحة اصطلاحاً، أن تأخذ بيمينك يمين من تصافحه، ثم تتركها بعد هزها هزاً خفيفاً.فمن الجهل باللائق أن تصافح بيسراك، أو أن تستبقي في يدك طويلاً يد من تصافحه، أو أن تنفضها نفضاً عنيفاً، يكاد يخلعها من المعصم.

ومن الاستخفاف بالناس، اقتصارك في مصافحتهم، على إعطائهم السبابة والوسطى من أصابع يدك، فعل بعض المفتونين من المتفرنجين.

٤- من مكارم الأخلاق، أن يبادئ الكبير الصغير بالسلام، إشعاراً بما في نفسه نحوه من العطف عليه، والرعاية له. وعلى الصغير في هذه الحالة، أن يتهيأ لقبول هذه التحية والرد عليها بما يناسب من الاحترام، والتواضع، وألا يتخذ هذه الرعاية، ذريعة لطرح رداء الاحتشام.

كان لأمير رفيع القدر، ملحوظ المنزلة في قومه، يد على رجل خامل الجاه، منحط الدرجة، فرأى الرجل الأمير ذات يوم، فابتدره بقوله من غير احتشام: عم صباحاً أيها الصديق! كيف حالك والحوادث؟ فأجابه الأمير هازئاً: بخير وعافية أيها الصديق الحميم.. ولكن هل تخبرني ما اسمك؟ فأدرك الرجل من هذا الجواب سوء أدبه، فأخذ سمته في طريقه صاغراً، كاسف البال.

٥- يحسن بالمهذب، إذا لاح له صديق مطلاً من نافذة بيته، أو مشرفاً من إحدى شرفاته، أو راكباً مركبة، ألا يطرق معه باب الحديث، بعد

السلام بالإشارة عليه؛ لأن محادثته إياه تستدعي الوقوف في الطريق، أو الجري فيه، مع رفع الصوت.

٦- من حسن التنصل ولطف التخلص، إذا رأى المرء في الطريق امرأة له بها قرابة أو معرفة، أن يلتمس سبيلاً غير الذي تسير فيه، متكلفاً عدم رؤيته لها، فلا يضطر إلى السلام عليها والوقوف معها، ولا يستهدف نفسه لانتقاد المارة، ما لم يكن هناك باعث خطير، لا محيص معه من تبادلهما الخطاب.

٧- إذا غشيت مجلساً فيه سيدة أفرنكية، أو لقيت صديقاً أفرنكياً تصحبه قرينته، فمن الآداب المألوفة، ألا تبتدرها بالمصافحة؛ بل ألزم مكانك، فإذا مدت إليك يدها فصافح، وإلا فلا.

قالت البارونة ستاف[١] في تعليل هذه العادة، "إن البدء بالتحية والحديث، حق من حقوق المرأة في المجتمعات، فهي إذا ابتدرت رجلاً بالسلام، فكأنما تقول له- لقد ألفيتك خليقاً بالمصافحة فصافحتك-".

فحافظ إذاً على هذا الأدب، كلما زجت بك ضرورة المعاشرة، في حضرة سيدة أفرنكية.

---

(١) البارونة ستاف سيدة فرنسية من فضليات النساء العارفات بآداب المعاشرة والمتطلعات من فن تدبير المنزل ولها في ذلك مؤلفات عديدة منها كتاب "آداب المعاشرة والسلوك في الهيئة الاجتماعية" وكتاب "ربة الدار وفن الاستقبال" وكتاب "التقاليد المطبخية وفن تناول الأطعمة على المائدة" وكتاب "غرفة الزينة والتجمل" وكتاب "المراسلة في جميع المناسبات" وكتاب "السر في أن أكون جميلة ومحبوبة" وكتاب "المرأة في العائلة" الخ.

٨- إذا اجتمعت بمن لم تعرفه في مجلس أو طريق، وكان هناك ما يدعو إلى مخاطبته، فتوسل قبل مجاذبتك إياه الحديث، بمن يقدمك إليه ويعرفك به، أو عرفه أنت بنفسك، بعبارة تشف عن تربية عالية وأدب جم، ثم اسرد له ما حملك على التعرف به. قال الحسن فيمن يجالس غيره على جهل بأمره: "مجالسة الرجل من غير أن يسأل عن اسمه، مجالسة النوكي". فكأنه ﷺ، اعتبر المتجالسين بلا تعارف، كالحمقى، إذا خلا بعضهم إلى بعض.

٩- إذا دعيت إلى تعريف الناس بعضهم ببعض، فلا تجب إلا إذا أيقنت أن إجابتك تسد حاجة ماسة، ولا تجر إليك أذى. وتوخي ما استطعت التعريف بين الناس في الطريق، فقد لا يستحسن المعرَّف والمعرف به كلاهما هذا الفعل، فينظران إليك بعين الاستياء والامتعاض.

١٠- لا يليق بحال من الأحوال، تعريف السيدات بالرجال، ولا تقديمهن إليهم، مهما تكن منزلة كل فريق منهما وعمره، ولا يتفق مع الأدب، تعريف الأكبر سناً أو الأرفع مقاماً بمن يليه فيهما، ولا السيدة بالفتاة، وإنما الملائم عكس ذلك كله، أي يعرف الأدنى بالأعلى، والأصغر بالأكبر.

آداب المرافقة في الطريق

١- إذا رأيت شخصا يسير في الطريق، لا متسرعاً ولا متمهلاً، ولا متصلباً ولا مسترخياً، ولا ملتفتاً تارة إلى اليمن، وطوراً إلى اليسار، فذلك الذي ينبغي لك الاقتداء به؛ لأنه منتظم في مشيته، والمنتظم في مشيته يلقي في نفس الناظر إليه احترامه، ويصل إلى مقصده آمناً مطمئناً في زمن يسير.

٢- إذا اتخذت رفيقاً لك في الطريق، فليس لأحدكما على الآخر، بالنسبة لموضعه منه، فضلٌ ولا ميزة، مادمتما متساويين قدراً أو لا كلفة بينكما. فإذا كان بينكما فارق، أساسه العلم، أو السن، أو الجاه، فمن كمال التربية أن يتنحى المفضول في ذلك للفاضل، عن الموضع الذي يعرف أن فيه راحته.

وقد كانت تلك شمائل الخلفاء من الدولة العباسية على ما يؤخذ من رواية يحيى بن أكثم. قال: "ماشيت المأمون يوما في بستان، فكنت من الجانب الذي يستره من الشمس، فلما انتهى إلى آخره وأراد الرجوع، أردت أن أدور إلى الجانب الذي يستره منها. فقال: لا تفعل، وكن بحالك حتى أسترك كما سترتني. فقلت يا أمير المؤمنين، لو قدرت أن أقيك حر النار لفعلت فكيف الشمس؟ فقال: ليس هذا من كرم الصحبة. ومشى ساتراً لي من الشمس كما سترته".

٣- عوّد نفسك ملازمة الجانب الأيمن من الطريق في ذهابك، والجانب الأيسر منه في مجيئك، ولا تسلك مسلك الدواب والمركبات، إلا اجتيازاً لعرض الطريق.

وليس للمرأة بنوع خاص، أن تتبختر وسط الطريق، ولكن تمشي في جانبه.

جاء في حديث شريف "ليس للنساء من سروات[1] الطريق وإنما لهن جوانبه".

٤- إذا شهدت عابر سبيل من الشيوخ، أو أصحاب المقامات، فخل له عن الطريق، عرفته أم لم تعرفه، واجعل نفسك وقاية له، مما عسى أن يقع من خطر الزحام.

وإذا كنت على وشك المرور مع غيرك، من مضيق أو مزدحم، فتخلف حتى تمكن الذين هم أكبر منك سناً، وأعلى قدراً من المرور. وعليهم ألا يغفلوا السلام عليك، اعترافاً منهم بأدبك.

وإذا تزاحم الناس في مثل هذا المكان، فلا تدافعهم بالمناكب التماس المرور، ما لم يكن عندك من البواعث ما يدعوك إلى ذلك.

٥- إذا كنت تحمل هراوة أو مظلة، فحاذر كل الحذر أن تتأبطها، فإنك إذا تحركت وهي بهذا الوضع، فأصابت بطرفها عين، مارٍ أو جالسٍ،

([1]) سروات الطريق متنه أي وسطه.

تعرض نفسك لحكم القضاء عليك. واحذر أن تعترض الطريق، متأبطاً واحدة منهما، فتعطل المرور فيه.

٦- إذا اضطررت إلى المرور على قنطرة من الخشب فوق ترعة، فلا تزاحم غيرك حتى يسهل المرور لك. وإذا كان بين المارين شيخ طاعن في السن، أو امرأة، فساعدهما على المرور مترفقاً بهما.

٧- إذا أردت الاهتداء إلى الطريق، أو الاستدلال على عنوان أحد، فتلطف في سؤال من تستفهم منه، كأن تقول له: "من فضلك أهدني السبيل" أو "هل لك أن ترشدني إلى مكان فلان" الخ.

والأولى بمن يريد الاسترشاد، أن يواجه أرباب الحوانيت الصغيرة، فإنهم أعرف الناس بالأشخاص والأشياء، في الجهة التي يبحث فيها. فإذا أجابوه على سؤاله، وجب عليه أن يشكر لهم حسن صنيعهم معه.

٨- إذا التقيت في الطريق بصديق لك، فابدأه بالسلام، ثم سله عن صحته وأحواله. وإنما لا يكون ذلك إلا إذا دانيته، حتى لا يسمع أحد المارة ما يدور بينكما من الحديث.

٩- إذا التقى الرفيقان في الطريق، بصديق لأحدهما، وكان هناك ما يدعو إلى كلام أحدهما معه، فعلى الذي يعرفه منهما، أن يستأذن رفيقه الأول في محادثته، وعلى هذا الرفيق أن ينتحي مكاناً بعيداً عنهما، ليفسح لهما في الكلام، كما على طالب الإذن أن يختصر الحديث، حتى لا يمل رفيقه الانفراد.

١٠- من أمارات الكبرياء، ومظاهر الإعجاب بالذات، أن يمشي الإنسان في الطريق مشية المختال الفخور، واضعاً يديه في جيوب ملابسه، أو معلقاً لهما بالإبهامين، في الأجزاء العليا منها.

فاحذر إذاً الاقتداء بذلك المختال، الذي يرى في ذاته أنه أكبر الناس قدراً، وأعظمهم خطراً، بينما يرى الناس فيه أنه أحطهم شأناً، وأخملهم ذكراً.

١١- يعرض بعض الناس أنفسهم للهوان، والحكم عليهم بسقوط الهمة، لجلوسهم أمام منازلهم، في الزي الذي لا يليق إلا في مخدع النوم.

فاجتنب إذاً خطر الوقوع تحت طائلة هذا الحكم واحذر ما استطعت الجلوس على أبواب حوانيت التجار، فإنهم لا يروق لهم أن تسد في وجوههم سبل الارتزاق، بوقوفك عقبة في طريق المشترين.

١٢- كفى المرء دليلاً على خسة نفسه، وسقوط همته، وحسبه من الجمهور استخفافاً به، وحطاً من قدره، أن يتتبع خطوات النساء المارات في الطريق لمغازلتهن، أو رميهن بألفاظ البذاءة والفحش.

وخليقٌ بالنساء، مادُمن حريصات على فروض الأدب والحشمة في الطريق، أن يعاملن المتعرض لهن بالشدة والقسوة. وذلك بتنبيه أحد رجال الحفظ أو أصحاب المروءة والشهامة، إلى القبض عليه، وسوقه إلى حيث يلقى جزاء وقاحته، وسفال أخلاقه.

آداب السفر والانتقال

١- حض القرآن الشريف والسنة النبوية، وحث الحكماء والعقلاء، على الرحلة من دار الإقامة، إلى غيرها من الديار، ليزداد الفكر تنوّراً، والعقل تبصراً، بالنظر والتجربة.قال تعالى: "أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا"، "أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ"، "قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ" وقال رسول الله ﷺ: "سافروا فإن لم تغنموا مالاً أفدتم علماً" وقال الشاعر:

وإن مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيـــه فـــاغترب تتجـــدد

ألم تر أن الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

٢- إذا أخذت للسفر عدتك، فمن الأدب أن تودع الذين لك بهم صلة معرفة، أو قرابة، وأن تسألهم عما يكونون في حاجة إلى قضائه من البلد الذي تقصده، وعليهم ألا يتوسلوا بهذا الأدب، إلى التكليف بما تثقل مؤونته. وخليق بهم في هذه الحالة، أن يسألوه عن ميقات سفره، ليودعوه ويشيعوه، ويتمنوا له التوفيق والخير في رحلته.

٣- إذا كان السفر على الدواب، يحسن بالمسافر أن يحافظ على مودة رفاقه، ويستميل إليه قلوبهم، ويستشيرهم فيما يبهم عليه من الرأي، ويقوم على المرضى منهم بالرعاية والعناية، ويجهد لهم رأيه إذا استشاروه، ويتفق معهم إذا أضلو الطريق.

وبالجملة يكون وإياهم يداً واحدة على الوصول، في أمن وسلام إلى الجهة التي يقصدونها.

٤- إذا امتطيت جواداً في صحبة من تحتشمه، فمن حلاوة الشمائل، أن تجعل عنايتك براحته، أكثر من عنايته براحتك، وأن تكون معه في أدب المسايرة، كنديم الوليد[١] الذي قال هذا الخليفة فيه: "لقد صحبته منذ دخلت العراق، فما حك ركابه ركابي، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني فلويت له عنقي، ولا حجب عني الشمس في شتاء قط، ولا الروح[٢] في صيف قط".

٥- إذا كان في الطريق مخاضة أو مستنقع، ورأيت تأدباً منك أن تتقدم رفيقك، فحاذر أن يطير رشاش الماء أو الطين من حوافر جوادك فيصيب وجهه أو ثيابه. ولا تداعب جوادك أمامه، ما لم تكن له في ذلك رغبة.

٦- يجمل بأدبك، إذا كان الانتقال في مركبة تسع جملة من المسافرين، التنحي عن خير الأمكنة فيها للأرفع مقاماً، والأوجب احتراماً.

(١) هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان سادس الخلفاء من بني أمية ولد (سنة ٥٠ هجرية- ٦٧٠ ميلادية) وبويع له بالخلافة (سنة ٨٦هـ- ٧٠٥م) وتوفي (سنة ٩٦هـ- ٧١٤م) ودفن بدمشق. كان كثير اللحن إلا أنه كان شديد السطوة جم المروءة غزير العقل. وهو الذي بنى مسجد المدينة والمسجد الأموي وفتحت في أيامه بلاد الهند والسند والأندلس. وبلغت به الشفقة أن خصص لكل أعمى قائداً ولكل مقعد خادما وهو أول من اتخذ البيمارستان للمرضى ودار الضيافة للغرباء.

(٢) الروح نسيم الريح.

وخيرها ما يامن الكرسي المؤخر، ويتلوه ما ياسره، فالذي يسامته من الكرسي المقدم، فالذي يقابل الأول منه، ثم ما بين الاثنين الأولين، فما بين الاثنين الآخرين.

٧- وإذا كان الانتقال في المركبات العمومية، التي يشترك فيها أفراد الشعب، فيكون الجلوس بحسب ورود الراكبين: وإنما يجدر بالفتى المهذب، إذا كان في المحل الأصلح أن يتنازل عنه للشيخ الكبير، أو المرأة، أو صاحب المقام الجليل، من أهم العلم الفضل.

والواجب على هؤلاء، إذا قبلوا الجلوس في هذا المحل، أن يشكروا لذلك الفتى أدبه ومعروفه.

٨- من الأدب، إذا كانت المركبات كثيرة النوافذ والأبواب، ألا يكون فتحها أو إغلاقها، إلا بعد الاستئذان من المسافرين.

وقد يتفق كثيراً لبعد الشقة، وطول المسافة، أن يصطحب المسافر معه غذاء خفيفاً، فمن كرم الشيم، متى شرع في الأكل، أن يدعو إليه الجالسين معه.والواجب عليهم، أن يجيئوا بخير الأعذار، في عدم مشاركته في هذا الغذاء الخفيف.

٩- ليس لمسافر أن يبدأ الجالسين بالكلام في شأن ما، اللهم إلا أن يكون سؤالاً عن أمور عادية، كالاستفهام عن الوقت، أو عن اسم المحطة التالية، أو عن المسافة الباقية من الطريق الخ. والواجب أن يكون السؤال بالرفق والأدب.

وإذا جاذبهم الحديث في أحوال بيته، أو أعماله الخاصة، فليس من الفطنة والكمال، أن يتعداه إلى إفشاء الأسرار.

١٠- ألا يثقل على سمعك، ويستثير غيظك أثناء السفر، أن تسمع مسافراً يطيل الشكوى لمجاوريه، من طول الطريق، وسوء حالته، وعدم توفر الراحة فيه؟ أو أن تراه يثير الخلاف بينه وبين أحد القائمين بأعمال الطريق، بما يمكن أن تكون نتيجته التعطيل؟ إذا كنت تكره أن يتبع غيرك هذه الخطة معك، فحاذر من إتباعها نحو غيرك.

١١- يقتضي نزول الفنادق الأخذ بالحيطة، فلا تطلق إذاً العنان لنفسك فيما تحبه، بوهم أنك في الفندق كما لو كنت في بيتك.

ولا يبرح عن بالك، أنك بين أناس يجهلون عاداتك، كما تجهل أنت طباعهم وأخلاقهم، وينتظرون منك أن تكون على خلق حسن، وعادات رضية، وآداب تشكر عليها.

١٢- لا تعجل برفع الكلفة بينك وبين خدم الفنادق القائمين بخدمتك، بل كن معهم على ما يقتضيه الوقار، وتطلبه الحشمة، ولكن لا يخليك هذا من وجوب محاسنتهم، والإحسان إليهم.

١٣- إذا عدت بسلامة الله من سفرك، وردك الله إلى أهلك رداً حسناً، فبادر بزيارة أقربائك وأصدقائك، لاسيما أولئك الذين عهدوا إليك بقضاء حاجاتهم، لتنهي إليهم نتيجة ما كلفوك به.

وعلى هؤلاء بعد ذلك زيارتك، ليشكروا لك حسن صنيعك.

آداب الجمعيات والمتنزهات والملاهي

١- ينبغي أن يكون أساس الاجتماع، في جمعيات الأصدقاء والأقارب، التحلي بالفضائل، وأخصها الاستقامة وقصد الخير، وكل جمعية ينافي غرضها ذلك، يجب البعد عنها، والفرار منها.

٢- إذا كنت في نزهة مع صحبك، فلا تخالف ميولهم ما استطعت، ولا تظهر الملل ولا التأفف مما يجمعون على استحسانه، إذا عنَّ لك ما يحملك على مخالفتهم.ومن الأدب، وحسن الرعاية، أن يقيس أصغركم سناً، وأكثركم نشاطاً، خطواته على خطوات الشيوخ، والناقهين، وأصحاب العاهات منهم. قال الشاعر:

فسيروا على سيري فإني ضعيفكم ... وراحلتي بين الرواحل ظالع[1]

٣- أشرف المحال للسائرين جماعة الوسط، ويليه ما يامنه ثم ما ياسره، وما يامن الأول، ثم ما ياسر الثاني.وإذا قضت ضرورة السير، بأن يدور الإنسان على كعبه، فليتجنب أثناء ذلك أن يولي ظهره رفاقه.

٤- إذا كان الرجل يماشي امرأة من أهله، فليجعلها أقرب منه إلى جانب الطريق، وليتكفل بحمل ما بيدها من الأثقال.

---

(1) الظلع غمز في المشية شبيه بالعرج أو هو العرج اليسير.

٥- اغتنم ما يسنح لك من الفرص، لتتخذ لك يداً عند رفاقك. وخليق بأصغر القوم سناً، أن يؤدي هذا الواجب نحو الشيوخ، وذوي المكانة العالية والفضل.

٦- إذا عرضت في جمعية ما، ضرورة للعزف بالآلات الموسيقية، فلتكن الأدوار التي تقوم بأدائها، أقرب إلى أنواع الحماس والجد منها إلى المجون.

وإذا رجا منك أعضاء الجمعية التي تضمك، أن تعزف بتلك الآلات، لعلمهم ببراعتك فيها، فلا تتجن عليهم بما يدعوهم إلى التمادي في الرجاء منك، بل بادر بإجابة الطلب، لاسيما إذا كنت تعلم أن في الإجابة ما يسر أفئدتهم، ويشرح صدورهم.وإذا كان بينهم، من هو أقل إتقاناً منك لفنون الموسيقى، فحاذر أن تدعو نفسك إلى العزف التماس المباهاة والتفوق عليه أمامهم.

٧- إذا غنى غيرك، أو عزف بالموسيقى، فلا تهوش عليه بنقرات الأيدي، ودبات الأرض، وزناً للإيقاع. ولا تأخذ عليه في دفتر الغناء، نقط[1] الإيقاع، كمن يتبع أثر غيره، ليقف منه على سقطاته.

٨- حاذر إذا غنيت، أن تقرن صوتك بإشارات الممثلين على مسارح التمثيل؛ لأن الحركات في الغناء، تذهب بتأثير ألحانه في نفس السامع،

---

(١) يرى بعض الباحثين في أصول الألفاظ أن العلامات الموسيقية المسماة النوت أو النوتة كانت موجودة في الموسيقى العربية القديمة وكان يعبر عنها بالنقط. وأن الإفرنج أخذوا هذا اللفظ ضمن ما أخذوا من اصطلاحات الموسيقى فصارت نوت **note** بتواتر الاستعمال وتحريف اللسان.

لاسيما إذا كان فيها ما يشذ عن المألوف، ويدعو إلى سخرية السامعين.

٩- العقل في حاجة إلى التعلة باللهو واللعب، المشترط فيهما الاعتدال، والبعد عن المحظورات؛ ولكن لا يجب على كل حال، الاسترسال فيهما، بحيث يستغرقان أوقات الفراغ كلها. وإلا أفضيا إلى الملل والسآمة، أو صارا داء يستعصى علاجه.

والواجب على كل شاب عاقل، أن يتقي الألعاب التي يحظرها الذوق والقانون، والتي يخشى منها الخطر على الأخلاق والثروة.

١٠- حاذر كل الحذر، التردد على مجتمعات لعب القمار، ومشاركة اللاعبين في لعبهم، فإن اللهو الذي يكون أساسه انتقال المال من يد مالكه، إلى يد غيره بالحظ والجزاف، لا يلبث أن يكون سبب الشقاء والخراب، للخاسر والرابح سواء، بل كثيراً ما يكون الندم على الكسب، أشد في الإغراء على متابعة اللعب، ورب رامج في ساعة، خاسراً في غيرها أضعاف ما ربح.

يروى عن لويس التاسع، ملك فرنسا[١]، أنه كانت تأخذه الرعدة إلى ذكر لفظ القمار في مجلسه.

---

(١) المعروف بالقديس لويس ولد سنة ١١٢٦ وتوفي سنة ١٢٧٠ بميلاد. قصد مصر لفتحها في جيش جرار سنة ١٢٤٩ ومحاربتها حربا صليبية فأسره المسلمون واعتقلوه في المنصورة. وفي سنة ١٢٧٠ شرع في محاربة أهل تونس فمات بها في العام نفسه وكان مشهورا بالفضائل وحسن التدبير وأسس مدرسة السوربون المعروفة بباريس.

وقال الحكيم الأخلاقي لابروبير[1]: "ما وجدت جماعة من الناس، غشيت وجوههم قترة الهموم والأحزان، كجماعة المقامرين. قوم جلسوا بعضهم تجاه بعض، كالتماثيل الجامدة أو كالخشب المسندة، يتراشقون بألحاظ العداوة التي تنكر الصلح، والحرب التي لا تعرف الهدنة، ويجتمعون بأجسامهم، وقلوبهم شتى، ولا يؤمنون بإله سوى الجزاف والمصادفة العمياء".

١١- أحسن الملاهي، ما جمع إلى رياضة البدن، ترفيه العقل، وترويح النفس، كلعب الكرة بأصنافه، على شرط قصر مدة اللعب، والاعتدال فيه.

والآداب الملائمة للملاهي، هي عين الآداب العامة المطلوبة من الناس، في اختلاطهم بعضهم ببعض، فكون الإنسان يلعب، لا يخليه من تبعة مخالفته لقانون الأدب.

١٢- من المحظورات التي يحسن اتقاؤها أثناء التمثيل، أن يحضر بعض المتفرجين بعد الميعاد المضروب، فيحدثوا عند دخولهم جلبة تؤذي السمع، وتلفت النظر، وأن ينظر المتفرجون والمتفرجات، بعضهم بعضاً بالنظارات، لأن استعمال النظارات لا يكون إلا للتمكن من رؤية مناظر التمثيل، لا من رؤيتهم، وأن يصيحوا أو يصفروا احتقاراً للممثلين وتشهيراً بهم، إذا لم يحسنوا أداء أدوارهم؛ لأن الأدب

---

(1) هو جان دولا بروبير من أكبر الحكماء الأخلاقيين في القرن السابع عشر ولد سنة ١٦٤٥ وتوفي سنة ١٦٩١ وله كتاب عنوانه "الطباع والأخلاق".

والمجاملة يتطلبان منهم في هذه الحالة، إما السكوت، وإما مبارحة الملهى، وأن يتكلموا، أو يأكلوا، أو يدخنوا، أو يزوروا بعضهم بعضاً أثناء التمثيل.

آداب الزيارة

١– فُطر الناس منذ الخليقة على حب التزاور، لأن التزاور ركن من أركان الاجتماع، يترتب عليه توثيق الود.وله قواعد وآداب، تختلف بحسب المناسبات، فإذا كان بين الأنداد، فلا كلفة فيه في الأيام المعتادة، ولكنه يتحتم في المواسم والأعياد. وتختلف أيضاً باختلاف الزمان والمكان، فلا تجوز الزيارة مثلاً في مواعيد الطعام، وأوقات الراحة، ولا في غير بيت المزور.

٢– المدة المناسبة للزيارة، بعض الساعة. ولا يجوز الإكثار منها في أيام متقاربة، وإلا كانت داعية الملل. ألم تر أنك إذا أقللت الزيارة، سأل عنك أصدقاؤك، وتمنوا لقاءك.إن كثرت عليه في زيارته فمل والشيء مملول إذا كثرا.

٣– التزاور بين الأقارب الأصدقاء، لا يدخل تحت القيود والتكاليف، فلا تناوب هناك فيه، ولا محاسبة عليه. وإذا لم يجد الزائر المزور، فعليه أن يكلف الخادم أو غيره من مساكنيه، بإبلاغ خبر زيارته لمولاه، وإلا ترك وريقة زيارته، إشعاراً له بمجيئه.

٤– إذا كان المزور وزيراً أو ذا شأن خطير، وكانت الزيارة في صالح الزائر، وجب على هذا الأخير ألا يطيل المكث بين يديه، بأن يوجز مع الإفادة في بيان ما يرجو، ليكون كلامه أوقع في النفس، وطلبه أقرب إلى الإجابة.

٥- لا يناسب قطعاً أن تزور أحداً، وأنت في دور الأبلال من مرضك، ومادامت علامات المرض مرسومة على وجهك وجسمك، ما لم يضطرك إلى ذلك عمل هام لا يتيسر إنجازه في غيابك.

٦- إذا قصد جماعة زيارة أحد، فلا يحسن أن يزيد عددهم على الثلاثة، ولا يصحبن الزائر ابنه أو شخصاً غير معروف من المزور، إلا بإذن سابق منه، لأنه إذا بدا من هذا الشخص في زياراته التالية، ما يوجب اللوم والمؤاخذة، وقعت تبعة فعله عليك، لأنك كنت السبب في التعارف.

٧- إذا جئت إلى دار المزور، فلا تدق الباب دقاً مزعجاً متداركاً، ولا تطل قرع الجرس، بل انتظر ريثما يحضر من يفتحه لك.

٨- إذا سألت الخادم عن سيده، هل هو موجود في بيته، وكان الجواب سلباً، فليس لك أن تلح في السؤال، تحقيقاً لصدق غيابه، ولو ثبت لك وجوده فيه، كأن تكون لمحته أو سمعت صوته. والواجب أن تنصرف مقتنعاً بأول ما قيل لك، فقد يكون التنكر لعذر شرعي، منعه من لقائك.وإذا علمت بوجوده، وتبين لك أنه مريض، أو على مائدة الطعام، فبادر بالانصراف بلا كلام.

٩- إذا أدخلك الخادم في غرفة الاستقبال، وكان المزور في غرفة ملاصقة لها، فليس لك أن تفاجئه بالدخول فيها، قبل أن يصل إليك الإذن منه على لسان الخادم.وإذا طال عليك الأمد في انتظار وصول هذا الإذن، وكان عندك ما يدعوك إلى الانصراف، فلك أن تنصرف بعد

أن تترك وريقة زيارتك، مبيناً فيها سبب تعجلك، وينبغي أن يكون السبب عذراً بيناً.

١٠- ليس من الأدب التغني، ولو بصوت منخفض، أثناء انتظار المزور، ولا لمس التحف والأشياء المنسقة في غرفة الانتظار، ولا الإطلال من نافذاتها.وغاية ما يجوز لك في وحدتك، التلهي بالنظر عن بعد، إلى هذه الأشياء.

١١- يجب حتماً على الزائر ترك مظلته وهراوته عند الباب، على أنه إذا كان المزور من النظراء والأنداد يجوز استبقاء الهراوة، على شرط ألا يفحص بطرفها الأرض، كأن من ورائها سراً يروم استقصاءه. ومن القذر وسوء الأدب، البصق على الأرض والبسط.

١٢- إذا أدخل الزائر غرفة الاستقبال، وكان قد سبقه إليها جملة من الزائرين، فالواجب عليه، بعد ابتدار صاحب الدار بالتحية، أن يجلس في المكان الذي يعينه هذا له.

قال العرب: "إذا دخل أحدكم بيتاً فليجلس حيث أجلسه أهله"، على أن للزائر أن يجلس في المكان الخالي، حتى لا يكلف المزور مؤنة الاهتمام به.

١٣- إذا كان المزور الذي دخلت عليه، من ذوي الشأن، فلتكن تحيتك له بالأدب والاحترام، واحذر أن تستفسر منه عن صحته، أو تستفهم عن حالته، أو تدعه يهتم بأجلاسك. وإذا بدت منه حركة يريد بها

تقديم كرسي لك، واضعاً منه وإكراما لك، فهرول إلى أخذه.ولا تختر لنفسك أحسن المجالس، ولا أجمل الكراسي وأفخرها.

١٤- إذا شعرت أن مزورك على أهبة تناول الطعام، أو على وشك الخروج من داره، أو على عجل في أمر يخصه، فلا تتلكأ في الانصراف، ولو دعاه ذوقه وأدبه إلى استبقائك.

١٥- إذا كنت في زيارة أحد، وطرأ زائرٌ آخر، فلك أن تستأذن منه وتنصرف، بعد أن يستقر الزائر، وتحصل الحفاوة به، لأن تعجيلك بالانصراف، يدعو إلى التأويل بأنك لا تريد الاجتماع به.

١٦- اجتنب في زيارتك ترديد التحيات، وتكرير إشارات الاحترام، بل اكتف بتحية واحدة عند اللقاء، وبمثلها عند الانصراف.

٧- لا يليق قطعاً بالمزور أن يستقبل زائره، وهو في لبسة المتفضل(١). وإذا طرأ زائرٌ وأنت تلبس ثيابك، فلا تبطئ عليه حتى لا يمل الانتظار.

١٨- استقبال الزائر لا يكون في مخدع النوم، ولا في غرفة الطعام، بل في المكان المعد لذلك، والذي ينبغي أن يعتني بتنظيفه وتنسيقه، وإن لم يكن مفروشاً بالرياش الفاخر. وإذا لم تكن في البيت غرفة خاصة بالاستقبال، فلا بأس من لقاء الزائر في أنسب الأمكنة.

١٩- لا حرج على الطبيب في عيادته، ولا على المحامي في مكتبه، ولا على أرباب الأعمال في محال عملهم، إذا لم يشيعوا زائريهم أو

---

(١) لبسة المتفضل هي لباس النوم.

عملائهم، إلا إلى باب الغرفة التي حصلت الزيارة فيها، لأن صاحب العمل أولى بالوقت الذي يصرف في تشييع الزائرين، فيما يلي ذلك الباب.

٢٠- إذا عرض سفرٌ طويلٌ على المرء، وجبت عليه زيارة أخصائه لوداعهم، وإخبارهم بقرب رحيله.وإذا عاد بالسلامة من سفره، فليبدأهم بالزيارة، إخطاراً لهم بعودته.ويليق بهم في الحالة الأولى، تشييعه إلى محطة السفر، وفي الحالة الثانية، المبادرة برد زيارته لأداء تحية العودة.

٢١- إذا تخلف صديقك عن زيارتك على غير عادته، فبادر بالسؤال عنه لتتبين سبب هذا التخلف، وتستوثق من أمره، وإلا أفضى إغفالك السؤال، إلى التقاطع الذي هو ضد التزاور.

٢٢- تجنب ما استطعت، أن تجعل زيارتك للمزور في محل شغله، لأنها إذا لم تكن داعية عطله، فقد تعرضه للمؤاخذة من رئيسه.

وكذا لا يكون التزاور ليلاً، إلا بين الأصدقاء والأقارب، الذين ألفوا هذه العادة.

آداب وريقات الزيارة

١- وريقات الزيارة، قطعٌ مستطيلةُ الشكل من الورق المقوي، يكتب المرء عليها بخطه، أو بحروف المطبعة، اسمه ولقبه، ورتبته، ووظيفته، أو محل إقامته. وينبغي أن يكون الخط واضحاً، لا يلتبس مدلوله على القارئ، وإلا ضاعت الفائدة منه.

٢- يوضح صاحب الرتبة في وريقات زيارته ورتبته، بالاصطلاح المعروف للدلالة عليها؛ فيقال مثلاً: "فلان بك" أو "فلان باشا"، ولا حرج على الأفندي أن يضع هذا اللفظ عقب اسمه، تفادياً من الخطأ في بيان صفته.ولا يليق تصدير الأسماء بالديباجة الخاصة برتبة صاحبها، فلا يكتب "عز تلو فلان بك" أو "سعادة فلان باشا" وما أشبه.

٣- يحسن بالمرء، أن يحمل معه دائماً وريقات زيارته، لصلوحها في التعارف، وإعلان الزيارة وغيرهما. ولا يجوز للأصغر أن يرسلها إلى الأكبر، ولا للمرؤوس إلى الرئيس، إلا لإعلان الزيارة والتماس المقابلة.

٤- لا تبيح الآداب الشرقية للمرأة، أن تتخذ لنفسها وريقات زيارة تطبع عليها اسمها.وعند الإفرنج لا يجوز للأعزب والأرمل، أن يبادلا للعزباء والأرملة، وريقات الزيارة بمناسبة عيد أو حفلة إلا إذا كانت بينهما مصالح مشتركة.

٥- يتفق ألا يجد الزائر مزوريه من أسرة واحدة، فيترك لكل منهم وريقة زيارة. وهو خطأ لأن الزائر لا يتعدد بتعدد مزوريه، ووريقة واحدة تكفي الجميع.

٦- حاذر من كتابة أسرارك، على وريقات زيارتك، لاسيما إذا كان لها مساس بأسرته، أو بعملك الذي عليه قوام حياتك.فرب سر يكون إفشاؤه من هذا السبيل، سبب الأضرار بك في رزقك، ومستقبلك، وهنائك.

٧- لا فرق في استعمال الوريقات، بين المناسبات السارة والمحزنة. فإذا علمت مثلاً أن مصاباً نزل بصديق لك، فبادر بإرسال وريقة الزيارة إليه، متضمنة كلمة تعزية وسلوان، واجعلها مقدمة لزيارته بنفسك.

آداب عيادة المريض

١- عاطفة الرحمة وآصرة[١] القرابة في الإنسانية، تقضيان عليك بعيادة المرضى الذين يمتّون[٢] إليك بحبل القرابة أو الصحبة. ومما جاء في الحض على العيادة حديث "من حق المرء على المرء، إذا مرض أن، يعوده". وكان النبي عليه الصلاة والسلام، يعود جاراً يهودياً له. وهو دليل على أن العيادة لا تتوقف على الاختلاف في الأديان، أو الأجناس، أو اللغات.

٢- استعلم قبل عيادة المريض، إذا كان في قدرته استقبال العواد، فإذا جاء الخبر بالإمكان فبادر بأدائها، ولك فيما بعد أن تعيد كرة العيادة، بحسب ما تسمح لك صلتك بالمريض أو بآله[٣].

٣- الأليق في عيادة المريض، ألا تسلم عليه بالقول، كيلا تحوجه إلى الرد، بل ألزم السكوت إلا ما يكون دعاء له في نفسك، أو استفهاماً عن حاله من المنوطين بتعهده.

أما إذا كان المريض قادراً على الكلام، فاجعل سؤالك منه قاصراً على كلمة أو كلمتين، كأن تقول له: "كيف أنت؟" أو "كيف أصبحت". ولا تسترسل معه في الكلام بما يكون داعية تعبه، ولا تواجهه ببيان ما يمكن أن

---

(١) الآصرة ما يعطف الناس بعضهم على بعض من رحم أو قرابة أو صهر.

(٢) يمتون من مت بمعنى يمتدون إليك ويتصلون بك.

(٣) قال الصادق في مواعيد العيادة: أنها "لا تكون في أقل من ٣ أيام."

تلاحظه على جسمه من النحول، أو على وجهه من امتقاع اللون، وإلا جعلته قلق البال على صحته، وآيسته من نيل الشفاء.

٤- إذا كنت في دور النقاهة من مرضك، وعدت مريضاً، فلا تجعل حديثك في مرضك، ولكن اظهر العناية والاهتمام بمن تعوده، إيثاراً له منك على نفسك.

٥- إذا عدت مريضاً فخفف، فربما سبقك سواك إلى عيادته، فنزل به لذلك شيء من الضيق.

ومما جاء في ذلك حديث: "أعظمكم أجراً في العيادة أخفكم جلوساً" وقول عليّ ﷺ: "أعظم العباد أجراً من إذا عاد أخاه، خفف في جلوسه، إلا أن يكون المريض يحب ذلك ويريده، ويسأله".

والنوادر في وجوب هذا التخفيف كثيرة: أطال أحد العواد الجلوس عند مريض، فقال المريض: قد تأذينا من كثرة الداخلين. فقال العائد أأغلق الباب؟ فقال المريض: نعم ولكن من خارج. وسأل أحدهم مريضاً: ما تشتهي؟ فأجاب: أن لا أراك. وأطال أحدهم الجلوس عند مريض ثم سأله: ما أشد ما مر عليك في مرضك؟ فقال: قعودك عندي.

وفي الحقيقة فإن كثرة التعاهد، سبب التباعد.

٦- يحسن بالمريض ألا يشتكي إلى عواده، ما أصابه من الآلام بقوله مثلاً: "لقد ابتليت بما لم يبتل به أحدٌ" الخ، بل يحسن به التمسك بأهداب الصبر، لأن شكواه لا تخفف عنه المرض، ولا تعفيه من الألم. ومن أتم

الله له الشفاء، كان من دلائل اعترافه بالجميل، ومقابلته الفضل بمثله، أن يزور عواده، ليشكر لهم عنايتهم به في مرضه.

٧- إذا نزل بجارك، أو أحد معارفك، مصاب في ماله، فخليق بك أن تزوره، عساك أن تخفف عنه بحسن المواساة، وجميل التوجع، أعباء الهموم التي أثقلت ظهره. على أنك، إذا واجهته، لا يليق بك أن تبادئه الحديث فيما أصابه، بل انتظر ريثما يفاتحك بنفسه فيه، ولك عندئذ أن تأخذ بأسباب تسليته.

آداب التخاطب

١- ينبغي في التخاطب حسن الفهم والإفهام، مع الإصغاء للمتكلم. قال حكيم لابنه: "يا بني تعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الحديث. وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع، منك على أن تقول. واحذر أن تسرع القول، فيما يجب الرجوع عنه بالفعل، حتى يقال أنك على فعل ما لم تقل، أقرب منك إلى قول ما لم تفعل".

وكان عبد الملك بن مروان، يجمع في نفسه فضائل الحديث، فقد قال فيه واصفه: "ما علمته إلا آخذاً بثلاث، تاركاً لثلاث: آخذاً بحسن الحديث إذا حدث، وبحسن الاستماع إذا حُدث، وبأيسر المؤونة إذا خولفن تاركاً لمجاوبة اللئيم، ومماراة السفيه، ومنازعة اللجوج".

٢- يراعى في الكلام سن المخاطب، وعلمه، ومرتبته في الهيئة الاجتماعية، فالقاصر لا يخاطب بما لا يفهمه إلا البالغ، ولا الجاهل بما لا يدركه سوى العالم، ولا الصغير بما لا يليق إلا بصاحب المقام الكبير،لأنه لما كان المقصود من الكلام، تفهيم المخاطب غرضاً من الأغراض، فالخروج عن تلك الشروط، خروج بالكلام عن القصد الذي يرمي إليه، وتعجيز للمخاطب عن فهمه، أو تحقير له.

٣- يتفق لبعض الحاصلين على نتف من العلم، أن يدفعهم حب الظهور والتميز بالبراعة فيه، إلى فتح أبوابه أمام من يجهلونه، فيتلقى هؤلاء قولهم فيه بالجدل، الذي لا يلبث أن ينقلب إلى خصام.

فاحذر إذاً أن تقصد الظهور والمباهاة، من وراء ما علمت، وإلا وقعت في الرياء، أو أن تعرضه على الجهلاء كما يعرض التاجر سلعته البائرة فلا يجد لها مشترياً، وتذكر في ذلك، نصيحة الإمام عليّ ﷺ، حيث قال: "لا تحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك، ولا الجهال فيستفتنوك، ولكن حدث به من يتلقاه من أهله بقبول وفهم؛ فإن لعلمك عليك حقاً، كما أن عليك في مالك حقاً: بذله لمستحقه ومنعه عن غير مستحقه".

٤- إذا مثلت بين يدي كبير، أو رئيس، فليكن قولك له معبراً عن معنى الاحترام، والإجلال، وخالياً من أثر التصنع، والتكلف.وإذا جلست إليه لتحدثه، فلا تجعل كلامك إلا جواباً على سؤال، إذ لا يصح أن يكون كلام الصغير، إلا جواباً على سؤال الكبير.

٥- إذا عن لك، أن تسأل مخاطبك عن حال البعض من أهله، وكان من علاقته بك، ما يجيز هذا السؤال، فتلطف في العبارة، واجعل رائدك فيها محض الاهتمام بأمره.

وليس للمرأة أن تسأل رجلاً عن حاله، ما لم يكن مريضاً أو شيخاً كبيراً.

٦- إذا كان كلامك مع مخاطبك في قرينته، فلا تكنها ولا تسمها، ولا تخاطبه فيها بمثل قولك: "قالت زوجتك" أو "أرادت أم فلان" أو "فلانة" بالاسم، وإنما يقال كناية عنها، "قيل في الحرم" أو "في الحجرة" أو "من وراء الستار" الخ.

ولك أن تتصرف بمثل هذا الأدب في كلامك عن الأقارب الأقربين، رجالاً ونساءً: فتقول: "السيد الوالد" أو "العم المحترم" أو "الوالدة المصونة" الخ.

٧- لا يحسن بمهذب، إذا أجاب على سؤال إيجاباً أو سلباً، أن يقتصر على قوله "نعم" أو "لا". لاسيما إذا كان لمخاطبه فضل السبق عليه في السن، أو العلم، أو خطورة الشأن.

بل خليق بمثله، أن يردف إحدى هاتين الكلمتين، بكلمة يستطلع السائل منها طلع المودة والاحترام، كأن يقول: "نعم أيها الصديق" أو "لا يا سيدي" الخ.

وإذا كان صاحب السؤال من أرباب المراتب، فليذكر في إجابته ما يشعر بمرتبته، كأن يقول: "نعم يا دولة الأمير" أو "لا يا عطوفة الوزير" الخ.

٨- إذا وجهت خطابك بالاستفهام إلى ذي مقام عالٍ، أو إلى من لم تتوثق بينك وبينه صلة المعرفة، ورابطة الألفة، فلا تخاطبه بالكاف، كأن تقول له: "دولتك" أو "سعادتك" أو "حضرتك" الخ؛ لأن هذا لا يكون إلا بين الأكفاء والنظراء. وإنما في صيغة المفرد الغائب، كأن تقول: "أيأمر دولة الأمير بكذا" أو "أيتفضل عطوفة الوزير بكذا" الخ.

ولا بأس من التخاطب بالكاف، بين الأصدقاء الذين جمعتهم لحمة التنشئة في المدارس، وبين الإخوة والأخوات، والزوج وزوجه، لأنه أوضح في الدلالة على وثوق عُري الألفة والمودة بينهم.

أما الرئيس الذي يخاطب مرؤوسه بالكاف، فإنما ينتحل لنفسه حقا لا يتفق مع الأدب، ولا يطابق واجب الإحسان.

٩- غير جائز في شرعة الذوق، إذا لم يتلقط سمعك خطاباً موجهاً إليك، أن تصدم الذي وجهه بقولك له: "إه" أو "ماذا تقول" أو "كرر ما قلت" الخ. وإنما يليق بتربيتك، إذا فاتك فهم ذلك السؤال، أو أخطأك سمعه، أن ترجو من صاحبه تكراره، في الصيغة الآتية: "هل يسمح سيدي بإعادة السؤال"؟ الخ.

١٠- إذا جرى سياق الحديث، إلى ذكر أناس أنت واحدهم، فواجب التواضع يحتم عليك إيراد اسمك في آخرهم، مجرداً من الألقاب.

وكفاك رفعة أن ينطبق عليك قول القائل:

متواضــعٌ والنبــلُ يحــرسُ قــدرَهُ وأخــو التواضــع بالنباهــة ينبــلُ

١١- حسبك أن تعد من أصحاب الأناة والفطنة، ألا تقطع على مخاطبك كلامه، ولا تظهر له جزعك من سماعه، إذا لاح لك فيه ما يوجب الاعتراض.فإن أدب التخاطب يتطلب منك، أن تدع المتكلم حتى يتم كلامه، ثم تأخذ بسرد ما يعن لك من وجوه الاعتراض، بأدب أساسه حسن الاعتذار، وحسن القصد.

وليس من كرم الخلال، أن تجبهه في وسط كل جملة بقولك: "أخطأت" أو "زعم باطل" أو "قول لا صحة له"، أو أن تغتصب منه زمام الحديث، بعد قولك له: "من غير قطع كلامك"؛ فإن هذا الاستدراك لا ينفي عنك تهمة أنك قطعته فعلاً.

١٢- اجتنب في خطابك، كل ما يدعو إلى سوء التأويل من تشويش في ترتيب الجمل، أو تصحيف، أو تورية الخ. فإن سوء التأويل يولد سوء الظن، الذي يفضي غالباً إلى العناد والتجافي والخصومة، وينقض عقدة الألفة بين الإخوان، والأصدقاء المتصافين.

١٣- من خصال الحلم والرفق والرقة، ألا تتخذ في مخاطبة الخدم والفقراء والأيتام، لهجة الآمر وغلظة المتجبر.

فإن على المرء نحو الضعفاء حقوقاً، ترجع إلى فضيلة الإحسان، التي ينبغي أن يعاملوا بها، في كل زمان ومكان.

٤- كثيرٌ من الكلام، إذا ورد على لسان المتكلم، نم على خلقه، وكفى السامع مؤونة البحث في أمره.

فالكذاب الذي يحس وهو يحدثك بكذبه، لا يخلو كلامه من الحلف والتأكيد، وذكر الصدق، والمطالبة بالتصديق.

والثرثار الذي إذا مللت سماعه، وهو يبدأ كل جملة بقوله: "بالاختصار" "الحاصل" "الخلاصة" ثم لمح منك ذلك، قبض على يدك، أو أمسك بأطراف ثوبك، أو بأزرارك، ليجبرك على سماعه. فحاذر إذاً، أن تقول قولاً يسوءك أن يأخذ به سامعك، للحكم عليك بنقيصة من النقائص، التي لا تود أن يصمك بها الناس.

قال اللورد شسترفلد لولده: "يا بني لا تقبض يد أحد، ولا تمسك بأطراف ثوبه، إجباراً له على سماع قولك، لأن الأولى بك، إذا كان لا يرغب في كلامك، أن تمسك لسانك، لا أن تكلف بمسك ثيابه بنانك".

١٥- من محاسن الكلام، ألا تتكلف في التعبير باللغة العربية، لهجة تجعلها أقرب إلى لهجة إحدى اللغات الأفرنكية، تلتمس بذلك تقليد أصحاب هذه اللغات في حروفهم، فلا يفهم قولك أبناء لغتك، ولا الذين تفتخر بتقليدهم.

ومن محاسنه ألا تجعله خليطا من جمل عربية وإفرنكية، فتحمل سامعك على الاعتقاد بأن لغتك غير وافية بحاجة المتكلم في التعبير عن المراد وتسن سنة، إذا أخذ بها غيرك، عدوا من المفرطين في لغتهم، وبالتالي في وحدة ذاتهم.

آداب الحديث في المجالس

١- لا يكفي في الحديث، مادام الغرض منه الإفصاح عن المراد، أن يوافق تركيبة الصراحة وقواعد الإعراب فقط، بل أصول الأدب واللياقة، التي تصان بها العادات المرعية، والتقاليد المتبعة.

فينبغي إذاً، أن يكون أساس الحديث في المجالس، الاستقامة والفائدة، سواء أكان موضوعه بحثاً في مصلحة، أم مباسطة بالكلام، على سبيل التودد وتزجية الأوقات.

٢- يجب في المجالس الحذر من فلتات اللسان، إما بالتحفظ في القول، فلا ينبس المتكلم بكلمة، ما لم يزنها بميزان الروية والتبصر، وإما بالسكوت إذا عهد من نفسه العجز؛ لأن حظ المرء من الصمت له، بخلاف حظه من الكلام، فإنه لغيره، ووباله راجع عليه.

وما أحسن ما قاله أحد الحكماء: إنني أملك الكلمة، فإذا تكلمت بها ملكتني".

وكم من ملتزم الصمت في المجالس، وصفه الناس بحسن السمت ونحلوه بنحلة العلم والعقل، حتى إذا تكلم دلت الأقوال على الأحوال، وهتك المقول، قناع العقول.

كان رجلٌ يحضر مجلس القاضي أبي يوسف، ويطيل السكوت فسأله: مالك لا تتكلم ولا تسأل مسئلة فقال: اخبرني أيها القاضي متى يفطر

الصائم؟ فقال: إذا غابت الشمس. فقال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ فتبسم أبو يوسف وتمثل بقول الشاعر:

وفي الصمت زين للغبي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما

٣- إن كان الصمت ستاراً للجاهل، ووقاية لصاحب العجز والعي من شر الفضيحة في المجالس، فإنه زينة النساء والأطفال، والضالة التي ينبغي لهم أن ينشدوها على الدوام.

طلب إلى مدام داسييه، وكانت من أشهر نساء عصرها في الأدب والعلم والفضل، أن تكتب سطراً في صحيفة تذكاراً لزيارة أدها، فكتبت: "حلية النساء الصمت".

وليس للأطفال الحديث في المجالس إلا بإذن، أو جواباً على سؤال. وينبغي أن تشعر حركاتهم وأقوالهم بالاحترام والرصانة، فلا يرفعون أصواتهم، ولا يضحكون إلا تبسماً عند المناسبة، ولا يتخذون أوضاعاً لا تتفق مع أعمارهم.

٤- من الحصافة وحسن الرأي، أن يكون الاستماع أحب إلى الإنسان من النطق، وأن يكون كلامه، إذا تكلم، بقدر ما يبلغ به حاجته من التفهيم، وإلا وقع في فضول الكلام، الذي كثيراً ما يفضي إلى هلاك المرء، كفضول المال سواء.

تكلم رجل عند النبي عليه الصلاة والسلام، فأكثر، فقال له: كم دون لسانك من حجاب؟ فقال: شفتاي وأسناني. قال: أفما كان لك في ذلك ما يرد كلامك؟ ما أوتي رجل شراً من فضل في لسانه!

وقال الحكيم لوساج[1]: "ينبغي لنا أن نزن كلامنا بالذهب"، أراد بذلك أنه ينبغي أن يكون حرص المرء على كلامه، كحرصه على ماله.

والإطالة في القول لا تجوز، إلا إذا رُمي بها إلى غرض محمود. قال تعالى: "لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ".

٥- إياك وتعقيب السؤال بالسؤال في حديثك، فإنك لا تأمن مع توالي الأسئلة، أن يفرط منك سؤال لا تسرك الإجابة عليه،لذا يحسن بالسائل، أن يزن كل سؤال قبل أن يوجهه إلى مخاطبه، وأن يمسك عن الأسئلة المريبة.

على أنه، إذا لم يكن بد من السؤال، فليكن في قالب ينفي عنك مظنة سوء القصد، فيما إذا سألت محدثك ولم يرق له سؤالك، كأن تقول: "هل من بأس إذا سألتكم عن كذا" "أتجد غضاضة في الإجابة على كذا" الخ.

واجتنب عادة الفضوليين، الذين كلما انتهوا من جملة، سألوا السامعين إذا كانوا يفهمون ما يقولون.

٦- إذا سئلت، فلا تبتدر الجواب ابتداراً، بل ترَوّ على شريطة ألا تبطئ في ذلك كل الإبطاء، وإلا عد السائل سكوتك الطويل عجزاً عن الجواب. ولتكن من التواضع في إجابتك، بما يرفعك في عين محدثك.وإذا كان في السؤال، ما تعلم أن في الإجابة عليه إفشاء لسر

(١) لوساج (ألين ريليه) من كبار الكتاب والفلاسفة الفرنسيين ولد سنة ١٦٦٨ وتوفي سنة ١٧٤٧ ومن مؤلفاته التي اشتهر بها قصة (جيل بلاس) ورواية (توركاريه) المضحكة.

مكتوم، أو تعريضاً بشخص غائب. فتلطف ما استطعت في التنصل من الجواب.

فإذا ألحف السائل في سؤاله، وأبى إلا الجواب، فأجبه بأنك لا تحيط بالأمر علماً، أو أنك تعلمه ولكن ترى من الصواب السكوت عنه، ثم ناج نفسك يقول القائل:

وما زلت في الكتمان حتى كأنني   برجع جواب السائلي عنه أعجم

٧- لا تستأثر بالحديث، ولا تملك على السامعين أطرافه، حتى تلزمهم الصمت، وتضطرهم للإصغاء بالرغم منهم. لأن هذا خلق الثرثار الفضولي، الذي يخلق به أن يتمعن قول أحد الحكماء: "أنصف أذنيك من فيك، فإنما جعل لك أذنان اثنتان، وفم واحد، لتسمع أكثر مما تقول".

٨- إذا كان محدثك ثرثارة، فادفع عنك ملل الاستماع بالصبر الجميل، ولا تقطع عليه قوله؛ ولكن تحيل على الخروج بالحديث إلى مقصد آخر، يضطره إلى الاختصار، أو تلطف في الاعتذار عن استماع بقية الحديث.

٩- إذا سنحت فرصة للكلام في موضوع قتلته علماً، وأنست من محدثك إقبالاً على سماعه، فلا بأس من الكلام فيه مع البيان.وإذا رجا هو منك ذلك، فعجل بتحقيق رجائه، متى لاح لك أن رغبته هذه، لم تكن عن تصنع أو محاباة لك.

١٠- أثقل الأحاديث على الأذُن، الحديث المكرر؛ على أن تكراره لا يبيح لك إسكات المحدث، لاسيما إذا كان شيخاً كبيراً، أو صاحب شأن خطير.

ويحسن بالمحدث، إذا داخله شك في سبق الخوض في ذلك الحديث، أن يسأل سامعيه إذا كانوا على علم به، ليتكلم أو ليحجم.

١١- إذا جر الحديث إلى ضرب مثل، أو إنشاء تشبيه، فاعرض ما يعن لك من ذلك على محك الذوق، قبل أن ينطق به لسانك، فإنك لا تأمن أن يكون في ذكر أحدهما ما يؤلم سمعك. فلا يليق بك إذاً، أن تقول مثلاً في حضرة طبيب: "اسأل مجرب ولا تسأل طبيب" الخ.

١٢- لا يؤذي السمع، وينفر الطبع، مثل قول المتشدق المتفاصح، الذي يتكلف السجع حيث لا يلزم، في فهم حديثه، إلا القول المرسل، والكلام الذي يتوارد عفواً على اللسان، للتعبير عما يدور في الجنان، ويتصنع الفصاحة حباً في الظهور والتميز على الإخوان.

فاحذر كل الحذر، أن تقتدي بأولئك المتشدقين المتكلفين، الذين ورد في حقهم حديث: "أن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً، الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام".

١٣- كثيرٌ من الناس يلقون القول، إذا تحدثوا، على عواهنه، لا يبالون من أين أخذوه، إما لسذاجة فطرية فيهم، تنزل بهم إلى درك البلاهة، وإما لجهل منهم بأحوال الزمان والمكان، فيتخذ سامعوهم هذه الزلة فرصة لتعبيرهم، والتنديد بهم، والتهكم عليهم.

وهي خلة يجب عليهم، إذا كانوا ممن نشأوا نشأةً حسنة، اتقاؤها والبعد عنها؛ لأنها فضلاً عن منافاتها للمروءة والإحسان، تورث الضغائن والأحقاد في الصدور.

١٤- من كمال الأدب، ألا تهوش على أحد في كلامه، ولا تقطعه عليه، بل كن كما طلب أحد الملوك من نديمه: "إذا حدثتك فلا تقطع عليّ الحديث، بل أرني فهمك في نظرك".

وإذا سئل غيرك، فلا تجب أنت عنه، وإذا حدثك بحديث، فلا تقتحم عليه فيه، ولا تره أنك تعلمه، وإذا كلمته فأخذته حجتك، فحسن مخرج ذلك عليه، ولا تظهر الظفر به، وإذا شرعت في الحديث، فلا تتخذ أوضاع الأدعياء، ولا تتكلف هيئات العارفين بأسراره، والقابضين على ناصيته، ولا تتكلم بلغة غير التي يفهمها الحاضرون، ولا تسر لأحد الحاضرين كلاماً في أذنه.

وإذا داعب جفونك النعاس، فعجل بالانصراف كيلا تعرض نفسك للاستهزاء، بنومك بين اليقظين. ولا تسأل عن الوقت، ولا تنظر في ساعتك ما لم تكن واثقاً بخلو سؤالك أو حركتك، من أثر يدل على تضجرك.

آداب صون اللسان

١– أرأيتك لو سمعت رجلاً يتكلم فيما ليس له به علم، أو شهدته يندس بينك وبين محدثك، ليشارككما فيما لا يعنيه من حديثكما، أكنت تشتهي الاقتداء به في فعله؟ إني لأربأ بك أن تكون من كثافة الطبع، وثقل الروح، بحيث تشبه هذا الرجل، إذ ليس في عيوب الناس ما هو أدعى إلى احتقارهم، من الاشتغال بما لا يعنيهم، و إضاعة الوقت فيما لا حاجة لهم به.

وإنه لجدير بمن ابتلى بتلك الآفة، أن يسكت عن بعض ما يعني، حتى يعتاد لسانه ترك ما لا يعني.

٢– إذا جر سياق الحديث، إلى ذكر عيوب يستحيا منها، أو تتقزز النفس من ذكرها، فما أغناك عن التصريح بأسمائها، ترضي السامع والمصاب بها.ويكفي أن تقول في التعبير عنها: "العارض الذي يشكوه فلان" أو "النازل الذي نزل به" الخ.

وفي القرآن الكريم أكثر من آية كنى فيها عن الآفات المستقبحة، بأرق الألفاظ كآية: "اضمم يدك إلى جناحك، تخرج بيضاء من غير سوء". يريد به البرص وهو آفة تشمئز منها النفس، لمجرد سماع هذا اللفظ الدال عليها.

ودخل رجل على أمير، وفي وجهه أثر. فقال الأمير: ما هذا الأثر الذي في وجهك؟ قال ركبت فرسي الأشقر فجمح بي. فقال الأمير: أما

أنك لو ركبت الأشهب لما فعل. فكنى الرجل عن الأشقر بالنبيذ.وكنى الأمير عن الأشهب باللبن.

وإذا كان محدثك مصاباً بعاهة بدنية أو أدبية، فلا تعيره بما تعلمه منها فيه، فإن التعبير بالعيوب، أدعى إلى وجودها في المعير، إذا لم تكن فيه.

٣- تنبيهك إلى عيوب غيرك ونقائصه، على وجه تقصد به إثارة الضحك، إما بالمحاكاة في الفعل والقول، وإما بالإشارة والإيماء، ينافي المروءة والشهامة، ويوجب لصاحبه الهوان والمقت. وقد نُهي عنه في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ولا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ".

فحاذر إذاً متى ألقيت بشخص مشوه الصورة مثلاً، أو رأيت بين رفاقك من لم ينتظم عمله، أن تسخر منهما بقصد الاستهانة والتحقير، بل احترم الأعمى احترامك للبصير، فرب عيب تسخر منه وأنت موضع السخرية فيه لغيرك بدون أن تشعر.

٤- للدين مقام محمود، ومرتبة تسمو على جميع المراتب فلا تغفل إذاً عن إجلاله، باتقاء القدح فيه، ولا عن احترام أهله باجتناب الطعن عليهم، ولو بدر من أحدهم في حقك ما يوجب استياءك. ويدعو إلى احتجاجك،لأنك إذا كنت مأمورا بالعفو عمن يسئ إليك، فأولاهم بعفوك أولئك الذين نصبوا أنفسهم للإرشاد، وانقطعوا لخدمة الحقيقة.

٥- لا تدنس لسانك بالغيبة، كأن تذكر أخاك، إذا غاب، بما لا تحب أن تذكر به، أو تعيبه بما يحتمل أن يكون لاصقاً بك من العيوب،لأن من

يغتاب غيره يكون كمن يأكل لحمه "وقد حرم الله أكل لحم الإنسان كما حرم ماله ودمه" صدق الحديث الشريف.فعلى كريم الأخلاق، ألا يدع أحداً يغتاب غيره حتى ينبري للدفاع عن كرامته، وليترفق بالمغتاب في زجره عن فعله، فإما أن ينتهي، وإما أن يعجل بمفارقة مجلسه.

قال إعرابي لمغتاب: "استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس، لأن طالب العيوب يطلبها بقدر ما فيه منها". قال الشاعر:

وأجـرأ مـن رأيـت بظهـر غيـب　　　على عيب الرجال أو لو العيوب

٦- ما أشنع النميمة، وما أحط نفس النمام، وما أوخم مصرعه، وإن على الباغي تدور الدوائر.

تكون مطمئناً ناعم البال، فيسعى بك عند أقرب الناس إليك، كأبيك أو أخيك، فإذا بنار العداوة قد شب بينكما ضرامها، وزاوية الخلف قد ازداد انفراجها.

بل قد تكون الأمة، على أحسن ما يكون من العلائق مع جارتها، فتكفي كلمة سعاية بها عندها ليكون بينهما ما يكون من تأثير الشرر في الهشيم، إذا هبت الإعصار. وإنه لخليق بصاحب الأخلاق الطاهرة، والأعراق الزكية، ألا يقبل النميمة، لأن قبول النميمة، شر من النميمة نفسها.

وما أحسن ما رد به الخليفة المعتصم[1] على رجل كتب إليه على سبيل الوشاية: "إن فلاناً مات وخلف مالاً كثيراً، ولا وارث له غير ابن واحد" يريد بذلك حثه على استخلاص ماله لنفسه، فأجابه الخليفة بقول: "أما المال فثمره الله، وأما الميت فرحمه الله، وأما اليتيم فأنبته الله، وأما الساعي فلعنه الله".

٧- جانب الكذب في أقوالك، إذ كفى بالكذب نقيصة، أن من يشتهر به لا يجوز صدقه، فإذا عاقد لا يوثق بعقده، وإذا واعد لا يسكن إلى وعده، وإذا تظلم تسرعت إليه التهمة، وإذا تألم تباعدت عنه الرحمة.

واحذر أن تجعل عذرك فيه، أنك أردت به المباسطة والمزح، لأن الكذب، كما لا يجوز في الجد، لا يجوز في الهزل، والمتفكه به إنما ينم على طبيعة فيه مركبة من الطبش. والغباوة، والغفلة.

قال أرسطو: "فضل الناطق على الأخرس بالنطق وزين النطق الصدق. فالأخرس الصامت خير من الناطق الكاذب" وأوصى

---

(1) أبو أسحق محمد المعتصم بن هارون الرشيد هو ثامن الخلفاء من بني العباس بويع له بالخلافة (سنة ٢١٨هـ- ٨٣٣م) وتوفي (سنة ٢٢٧هـ- ٨٤٢م) كان شديد يحمل ألف رطل ويمشي بها ضعيف القراءة والكتابة. وهو أول من ادخل الأتراك الدواوين وألبسهم الذهب والديباج وبنى لهم مدينة (سر من رأى) بقرب بغداد. وفتح عمورية بعد أن قتل من الروم ٣٠ ألفاً وأسر ٣٠ ألفا. ويقال له المثمن لدخول رقم ٨ في اثني عشر عددا تتعاق به منها أن أولاده ثمانية ذكور وثماني بنات الخ.

المسترشد[1] ابنه عند وفاته، فقال له: "يا بني إن أردت المهابة فلا تكذب، فإن الكاذب لا يهاب ولو حف به مائة ألف سيف".

٨- الصدق في الكفة الراجحة من ميزان القول، والكذب في الكفة المرجوحة، فعود نفسك مجانبة الكذب، يجيء الصدق عفواً على لسانك.

ولا تخش وعيد من يريد صرفك عن الصدق، فإنك بالشجاعة التي يبثها الصدق في نفسك، قدير على قهر خصمك، فإذا لم يوافك الفوز سريعاً، فهو لابد موافيك، مهما طال الأمد.

قال بعض الحكماء: "عليك بالصدق، فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع، بأعز من الصدق، والصدق عز وإن كان فيه ما تكره، والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب، ومن عرف بالكذب، اتهم في الصدق.

ومن ألطف نوادر الصدق، أن رجلا أتى رسول الله ﷺ، فقال: إني استسر بخلال السرقة وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركته. قال دع الكذب. فمضى الرجل فهم بالسرقة. فقال: يسألني رسول الله، فإن جحدت نقضت ما جعلته له وإن أقررت حُددت فلم يسرق. فهم بشرب الخمر والكذب. ففكر في ذلك، فرجع إلى رسول الله، فقال له: لقد تركتهن أجمع.

---

(1) هو الـ ٢٨ من خلفاء بني العباس ولي الخلافة (٥١٢هـ- ١١١٨م) وقتله السلطان مسعود السلجوقي غيلة (٥٢٨هـ- ١١٣٤م) كان شجاعا.

٩- ليس من صدق القول في شيء، أن يذهب المتكلم في صراحة القول مذهباً، يترتب عليه إفشاء ما ينبغي كتمانه، أو أن يخرج منه إلى الإضرار بالناس، أو السقوط في الغيبة الذميمة. وخليقٌ به أن يكون من الفطنة واليقظة عند الكلام، بحيث يهتدي سريعاً إلى المواقف التي يكون الكلام فيها صدقاً ينفع إعلانه، أو صراحة لا يناسب الجهر بها.

وليحذرن التعريض بكرامة سامعه. ولو كان فيه ما يطابق الواقع، لأن مواجهة الإنسان غيره بعيب فيه، أو بحقيقة مؤلمة نقص في المروءة، وسقوط في الهمة. وإذا لاح له أن يلوم أحداً لسبب ما، فليتحين لذلك أنسب الفرص زماناً ومكاناً، فرب لوم في الغد يكون أشد وقعاً منه اليوم، وفي الخلوة أنفع منه أمام الناس.

١٠- دع المزح والتنكيت ما استطعت، إلا ما يجيء منهما عفواً على اللسان. بشرط التحفظ، وعدم الاستغراق في الضحك. وأن يكون القصد منهما التبسط والمطايبة.

على أنهما إذا جازا، فإنما يكونان بقدر ما يكفي لتعليل الطباع المكدودة، والقلوب المتعبة، فإن من التفكه بالمزح ما هو نزهة النفس، وربيع القلب، ومجلبة السرور والراحة.

والمزح والتنكيت لا يجوزان بالمرة في الاجتماعات الجدية الراقية، مهما يكن الموضوع الذي يجر إليهما، ولا القالب الذي يوضعان فيه.واعلم أن

الإكثار من المزح يسقط الهيبة، وأن ممازحة العظيم، تورث ضغينته لك، كما أن ممازحة الدنيء، تدعو إلى اجترائه عليك.

١١- احذر أن تجعل كلمات الله موضوع هزلك ودعابتك، فلا تسلط عليها التحريف والجناس، والتورية، وغيرها من حيل الكلام التي تخرجها عن مقاصدها الشريفة، طلباً للهو، وتزجية للوقت في المباسطة،لأنك بفعلك هذا، تجر إلى نفسك، كراهة الناس واتهامهم إياك بالكفر والزندقة، دع غضب الله ومقته.

١٢- مما يستميل إليك القلوب، ويوجب لك التوقير، مجانبة وجوه الخوض في الباطل، كالكلام في المعاصي، والتفكه بأعراض الناس، وإفشاء الأسرار، وهو أضر هذه الوجوه بمن يفشيها، وأدعى إلى إلصاق تهمة الخيانة به، إذ الحديث أمانة، ومن الخيانة أن يحدث المرء بسر أخيه.

أسر معاوية بن أبي سفيان إلى الوليد بن عتبة حديثاً فقال هذا لأبيه: "يا أبت إن أمير المؤمنين أسر لي حديثاً، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك" قال: "لا تحدثني به فإن من كتم سره، كان الخيار له، ومن أفشاه، كان الخيار عليه". قال: فقلت يا أبتِ وإن هذا ليدخل بين الرجل وابنه؟ فقال: "لا والله يا بني ولكن أحب إلا تذلل لسانك بأحاديث السر. قال: فأتيت إلى معاوية فأخبرته. فقال: أعتقك أبوك من رق الخطأ، فإن إفشاء السر خيانة، وهو حرام إذا كان فيه أضرار، ولؤم إذا لم يكن فيه إضرار.

آداب المناقشة والمناظرة في المجالس

١- إذا نزلت في ميدان المناقشة مع غيرك، فلا تقصد تعجيزه وتنقصيه، بالقدح في كلامه ونسبته إلى الجهل، لتبين فضلك عليه، بل اجعل رائدك حب الإفادة والاستفادة، أو إيضاح المغمض أو نصرة الحق، وإلا خرجت من قصد البحث، إلى تزكية نفسك، وإظهار فضلها بتمزيق مناظرك، وصدمه، وإيذائه.

٢- إذا لزمت أحد المتناظرين الحجة من مناظره فلا يظهرن له المراء[١] والعناد، إذعاناً لما تذهب إليه نفسه من دعوى العلو والكبرياء، لأنه يهيج غضبه بذلك، ويحمله على أن يعود إلى نصرة كلامه، بما يمكنه من حق أو باطل، وأن يقدح فيه فيثور بينهما الشجار، ويكون من أمرهما كالكلبين اللذين يثور بينهما الهراش، ويقصد كلاهما أن يعض الآخر.

وخليق بالفطن اللبيب، إذا ألزم خصمه الحجة فلم يقتنع بها، أن يتلطف في الخروج من ميدان المناقشة، بدون أن يظهر له حرج صدره، ولو كان في مناقشته معه سفيهاً لجوجاً.

٣- كن في مناقشتك شديد الاستمساك بالحلم والمروءة، فلا تفه بكلمة، إلا بعد الوثوق من مطابقتها لأصول الأدب الصحيح.

(١) المراء هو الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد الكلام.

وإذا كان مناظرك ممارياً، فتوق ما عسى أن يدفعك إليه مراؤه، من التعجيل في الرد عليه بتكذيبه، أو بإغضابه، فتصير ممارياً مثله. وإذا رأيت الصواب في إنكار ما يقوله فلك أن تجهر به على شرط ألا تصدمه، ولا تتهجم عليه.

٤- لا تتكلف الازدراء بما يلقيه عليك مناظرك من وجوه الاعتراض، مادام المقام مقام استفادة أو إحقاق حق، لا معرض عناد أو مكابرة ولا تأخذنك هزة الغضب مما يقول، لأن الغضب، إذا تمكن من النفس، حال دون تقدير قول الغير، فيظنه الغاضب خطأ، وما هو إلا الحق الصراح، ومن ثم يتعرض لسقطات اللسان.

٥- يحسن أن تجعل التواضع والصراحة شعاراً لك في قولك، سؤالاً وجواباً، إذ تستطيع الاستظهار بهما على مناظرك، بدون أن يرى غضاضة عليه في قهرك إياه.

وخليق بكما، متى لاح لكما فساد القضية التي يعززها كلاكما ببراهينه وآرائه، أن تطرحاها جانباً، وتبحثا فيما هو أصلح وأنفع.

٦- إذا أقر خصمك بخطأه، وفاء إلى الحق من نفسه، فقد وجب عليك احترامه وإكرامه، وألا تملأ ماضغيك فخراً بالفوز عليه، فربما دعاه فعلك إلى الندم على اعترافه بخطأه وفيئته إلى الحق، وإذا كان الرجوع إلى الحق فضيلة، فكأنك تعق الفضيلة بذلك.

٧- إذا استدرك عليك أحد سامعيك زلة في حديثك، أو خطأ في تصورك أثناء كلامك، فلا تنقم عليه لاسيما إذا جعل اللطف وحسن الإشارة،

رائدين له في استدراكه. على أن الذي ينقاد إلى الغضب لذلك السبب، إنما ينادي بطيشه وحمقه، ويعلن عن كراهته للحق والصواب.

٨- من كمال الأدب ألا تعطي رأياً في مناقشة ثار ثائرها بين طرفين، إلا بدعوة من أحدهما أو من غيرهما، على شرط التحفظ والاحتياط، وبدون أن تعطي لقولك صبغة الحكم الجازم؛ بل ألزم دائماً حدود الاحتمال والتخمين، كي تجد لنفسك مخرجاً من بينهما، فيما لو طُعن في رأيك، أو ألقيت تبعته عليك.

وإذا كان الاحتياط لازماً من الكبار، فهو من صغار السن، الذين لم تهذبهم التجارب، ألزم وأوجب.

٩- إذا أعطيت رأيك، فلم يرق للحاضرين جميعاً ولم تجد من بينهم نصيراً لك فيه، فإن هذا الإجماع يدل على أنك لم تصب فيه شاكلة الصواب والحق.

لهذا يحسن بك الجهر بالرجوع عن الانتصار له، والدعوة إليه، وإلا خرجت إلى الإعجاب بالرأي، والمراء الذي قال فيه أحد الحكماء: "كفى بك إثماً ألا تزال مماريا" وورد فيه حديث: "لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان، حتى يدع المراء وإن كان محقاً".

١٠- اجتنب ما استطعت إثارة المناقشات الدينية والسياسية، اللهم إلا ما سهل الوصول به منها إلى تقرير الحقيقة، لبعده عن الأغلوطات وبواعث اللجاج والمراء،على أن هذه الإباحة، لا تخليك من رعاية واجبات أهمها: أن تستوثق من أمر مناظرك فإذا كان كفؤاً للبحث

معك، باحثته، وإلا جانبته لتتجنب المراء الذي لابد أن يقع فيه، إذا كان من الجاهلين.

١١- إذا جلست إلى عالم بالدين. فليكن سؤالك منه تفقهاً لا تعنتاً، ولا تنطلق في ميدان المغالطة، وعويصات المسائل، التي لا تلبث أن تنقلب إلى جدال، كثيراً ما يعود السائل منه بالخزي والخذلان.

سأل رجلٌ فقيهاً عن الحصاة يجدها الإنسان في ثوبه أو خفه من حصى المسجد، فقال له: ارمِ بها. قال الرجل: زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد. فقال: دعها حتى ينشق حلقها. قال الرجل: سبحان الله! ولها حلق، قال الفقيه: ومن أين تصبح إذاً؟ فانصرف الرجل مفحماً بهذا الجواب، بعد الذي أظهره من المراء والجدال.

وروي أن شاباً فرنسياً، كان يجادل قساً في وجود الله، فافتتح كلامه بأن عرف القس أنه لا يعتقد بالربوبية، وقال بأقوال الزنادقة وافتخر بأنه زنديق. فأخذ القس يحدق فيه النظر صامتاً، فسأله الشاب: ما تريد أن ترى مني بهذا النظر الغريب؟ أجاب القس: أريد أن أرى الحيوان الذي تسميه الزنديق، فإني لم أره في حياتي!

آداب المدح والتقريظ

١- خليق بالعاقل أن تستوي عنده المذمة والمدحة، لأن الأولى قبيحة لذاتها، ولأن الثانية، بما فيها من مبالغة، أو كذب، أو مداهنة، تفسد على الممدوح نفسه، إذ تظهرها له في غير مظهرها المعروف منه.

فإذا مدحك مادح، وأحدث مدحه في نفسك استشعاراً بكمالك، فانظر فيما وصفك به، فهو: إما أن تستحق المدح عليه كالعلم، أو لا تستحقه كالثروة. وليس في الحالين ما يوجب فرحك، لأنك لم تبلغ غاية العلم، كما لم تأخذ على الزمن ميثاقاً بحفظ مالك.

٢- يضر المدح بالمادح والممدوح معاً؛ لأن المادح، إذا أفرط فيه- وهو الغالب- انتهى به إلى الكذب، بقوله ما ليس بقادر على تحقيقه في ذات الممدوح، ولأن الممدوح يحمله المدح على الرضى عن نفسه، بما سمع من الثناء عليها، فلا يلبث أن يأخذه الإعجاب بذاته، فيلهيه عن تحصيل درجة الكمال، من العمل الذي كان موضوع مدحه.

لذا يخلق بمن سمع مدحاً فيه، أن يزجر المادح عنه رفقاً به وبنفسه. ولقد أثنى رجل على عمر بن الخطاب، فقال له عمر: "أتهلكني وتهلك نفسك؟". وسأل ﷺ، رجلاً عن شيء مرة فأجابه: "أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم"، فغضب الخليفة وقال: "إني لم آمرك أن تزكيني".

٣- إذا اقتضى المقام توجيه عبارات المدح، فلا بأس من إعطائها، ولكن بقدر ما يعطي الطعام من الملح، لأن المسرف في المدح، كالسفيه في ماله، يسجل على نفسه نقيصة البعد عن التثبت والتروي، والجهل بحقيقة من يمدحه، إذا كان يستحق الإطراء أو لا يستحقه، دع أنه مستهدف نفسه، إما لتهمة الملق والمداهنة، وإما لانتقاد الممدوح إياه.

على أنه لا يجوز للممدوح في هذه الحالة، أن يجبه مادحه بالغضب منه، لمدحه إياه، أو أن يقول ما يشير إلى اعتقاده بأن المقصود من هذا المدح الاستهزاء. وإنما يتلطف في منعه عن الاسترسال في مدحه.

أتى رهط من بني عامر رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقالوا: أنت والدنا.. أنت سيدنا.. أنت أفضلنا علينا فضلاً.. أنت أطولنا علينا طولاً. أنت الجفنة الغراء.. أنت.. أنت. فقال رسول الله: قولوا قولكم لا يستهوينكم الشيطان: أي اذكروا ما جئتم لأجله.

٤- ليس لامرئ، أن يمدح نفسه لغيره؛ لأنه لا يملك حق تزكيتها بتحبيذ أعمالها، والثناء عليها. قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ" وقال سليمان عليه السلام: "دع مدح نفسك لغيرك لا لفمك، واتركه للأجنبي لا لشفتيك".

كذلك لا يجوز أن يذمها للغير، قاصداً المدح من وراء هذا الذم: لأن ذم الرجل نفسه في العلانية، مدح لها في السريرة.

ولا يجوز أيضاً، أن يحمل غيره على مدحه، وإلا فقد أتى عملاً لا وصف له، إلا أنه أحط من مدح النفس بالنفس، ومن ذمها بقصد الإطراء والمدح.

٥- لا بأس بالمدح، إذا كان اعترافاً بحقيقة، أو إذاعة لفضيلة، وإنما يشترط فيه الصواب في تقديره، ووضعه في موضعه، مع رعاية الاختصار والتحفظ في إيراده، حتى لا يصدم الممدوح في تواضعه، ولا يخالف الحقيقة في صورتها الصحيحة، وإلا كان ملقاً أو ذماً في قالب المدح.

ولأتفه بالمدح في مواجهة الممدوح، كيلا تحرج مركزه، لأنه ما سمع امرؤ ثناءً، ولا مدحةً، إلا تصاغرت إليه نفسه. قال رسول الله ﷺ: "لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف، كان خيراً له من أن يثني عليه في وجهه".

٦- إذا مدحت شخصاً لمحدثك، فلا تدع في كلامك ما يحمله السامع على محمل الذم في قالب المدح، وإلا كان ثناؤك عليه والغيبة سواء.

آداب المشورة والتنبيه إلى الغلط

١- لا يجوز لأحد، لا بمركزه الاجتماعي، ولا بماله من المكانة عند الأصدقاء. أن يتحكم في إلزامهم قبول رأيه، أو التسليم بما نبه إليه من غلط، ما لم يكن صاحب مظهر رسمي، أو رياسة تبيح له ذلك؛ على اعتبار أنه المسئول عن تصرفات مرؤوسيه.

وليس للنظير مثل هذا الحق على نظيره؛ إلا إذا ارتفعت من بينهما الكلفة، أو كان إعطاء الرأي أو التنبيه إلى الغلط من أحدهما بدعوة من الآخر.على أن ارتفاع الكلفة، لا يبيح لصاحب الرأي، أو للمنبه إلى الغلط، أن يتقدم بهما من تلقاء نفسه، إلا في الأحوال الخطيرة، وإلا كان من الرقباء الذين يحصون على الناس هفواتهم.

٢- يحسن بمن يقبل على عمل، أو يشرف على مشروع، أن يمنعن فيه النظر، ويطيل التأمل، ثم يستشير فيه من يعلم منهم العلم، وتجربة الأمور، وحسن التثبت، ليقوم بمشورتهم اعوجاج رأيه.

قال أحد حكماء العرب: "دعوا الرأي يغب[1] حتى يختمر وإياكم والرأي الفطير" وقال آخر: "نصف عقلك مع أخيك فاستشره".

---

(1) ينب من غب يقال للطعام إذا بات والغرض هنا الإمعان في الرأي وتقليبه على وجوهه حتى يختمر ويتهيأ للنضج.

٣- يحسب بعض المستبدين، أن في المشورة ضعفاً فيهم، وظهورا لفقرهم إلى غيرهم، وأنه ليحسن في نظرهم تركها، وإن ضاقت بهم المذاهب، واختلفت عليهم المسالك. وطوح بهم الاستبهام في الخطأ الفادح.

وهو وهم منشؤه الاستبداد، وحب الذات؛ ولو كان أصحابه على شيء من الصواب لما وضعوا أنفسهم، تطفلاً، في مكانة فوق التي لرسول الله ﷺ، حين أمره الله عز وجل بمشاورة من دونه في الرأي، في قوله: "وشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ" وقد قيل: "ما ندم من استشار، ولا شقى من استخار".

٤- دلت المشاهدة، على أن المتأني يدرك لا محالة بعض حاجته، إذا لم يكن في وسعه أن يدركها جميعا.

فإذا عن لك أن تبدي رأياً، فلا تتعجل في إبدائه، خيفة أن تدخل بذلك فيما لا يعنيك، بل تحين الفرصة الملائمة؛ إذ كثير من المشورات النافعة، ذهبت كما تذهب الكتابة على الرمل، وفقدت كثيراً من أثرها الصالح، لأن الزمان لم يكن ملائما لإبدائها.

آداب المراسلة

١- إذا هممت بالكتابة، فأنت مطالب بأمرين: استحضار المعني في ذهنك واختيار ما يؤديه من اللفظ، بشرط أن يكون كلاهما زينة الآخر وعماده، ولا شك أنك برعاية هذا الشرط، ترتفع عن طبقة الحشو. وتبتعد عن مذاهب العامة، في التعبير عن المراد.

وجانب ما استطعت عيوب الإنشاء، فلا تستعمل الألفاظ الغريبة، والحروف الشاذة، والتراكيب الداعية إلى الاشتباه والالتباس، ولا تنح نحو المتفاصحين والمتكلفين، بل أفرغ على عبارتك حلة سابغة من الصراحة والرشاقة، تكن من الكرام الكاتبين.

ثم اعلم أنك، كاتباً، أملك للوقت منك متكلماً، لأن المتكلم تضطره حاجة الارتجال، إلى التجاوز عن اللفظ الجزل، والعبارة الرشيقة؛ بخلاف الكاتب، فإن له من سعة الوقت، ما يستطيع به استدراك الخطأ، والرجوع إلى الصواب.

لهذا وذاك كان خليقاً بك، كلما هممت بتحرير كتاب، أن تنقحه ثم تبيضه، وأن تعني بذلك، لاسيما إذا كتبت إلى كبير، له عليك حق الإجلال والتبجيل.

٢- على أنك لا تعد ملما برسوم الرسائل والمكاتبات، إلا إذا سبكت رسالتك، بمعانيها الحسنة، وألفاظها الجميلة، في قالب القواعد

النحوية، لا فرق بين أن كون مسهبة، أو قصيرة لا تتجاوز بضعة أسطر.

فإذا فرطت منك غلطة أو غلطات نحوية، فإياك أن تحشر تصحيحها بين سطور الرسالة، لأن بفعلك هذا، ترشد مراسلك إلى مواطن الضعف منك، وتكشف له: إما عن جهلك بقواعد النحو، وإما عن إهمالك الأخذ بها فيما تكتب، وهذا وذاك يوجبان الانتقاد عليك.

وخير الوسائل لاتقاء هذا المحظور، أن تتخذ مسودة لما تكتبه، ثم تبيضها بعد التنقيح. وبديهي أن الكاتب المدرب على أساليب الكتابة، الذي لا يكبو قلمه في غلطات النحو، ولا تفلت شوارد موضوعه من ذهنه في غنى عن هذا الاحتياط.

٣- ليس كل ما يقع إليك من الورق، بمناسب لبسط ما يعن لك من الآراء، أو عرض ما يراد من الأقوال فيه، فالورق اللازم لتسطير رسائل الوداد، بين الأهل والخلان، هو المتوسط القطع، وترك الهامش فيه ليس بشرط. والورق المناسب لتحرير عروض الحال، والطلبات، والرسائل الموجهة إلى الأمراء والوزراء، هو الورق الكبير القطع، وترك هامش متسع فيه، شرط محتوم.

أما الورق الصغير القطع، فلا تجوز المراسلة فيه، إلا لمن ارتفعت من بينهم الكلفة من الأقرباء أو الخلان.

والواجب في هذه الأحوال، أن يكون الورق جيداً. وليست جودة الورق بكثافة سمكه، أو بحافته المذهبة، أو بزواياه المحلاة بصور الأزهار

والأطباء، وإنما بأن يكون من الورق الأبيض الصقيل المتوسط السمك، الخالي من أثر النقش والتصوير، ما لم يكن من تقاليد أسرة الكاتب، ومقتضيات مركزها في المجتمع، ما يجيز الرمز إليها بشارة من الشارات. وفي مثل هذه الحالة، تطبع الشارة بالحبر الأسود، أو بالحروف البارزة في الورق.

والرسالة الواحدة، تكتب على ورقة مزدوجة، أي ذات أربع صفحات، ولو لم يكتب فيها سوى سطر أو سطرين.

على أنه يجوز، إذا كان موضوع الرسالة في مرفق من مرافق التجارة، أو عمل من الأعمال، الاكتفاء بورقة مفردة تكتب من وجه واحد.

٤- لا يجوز للكاتب أن يطبع اسمه في رأس ورق الرسائل، إلا إذا كان من أصحاب الألقاب، أو أرباب الأعمال التي تقتضي تعدد العناوين، كالتجار والمقاولين والمزاولين للحرف والحرة الخ.

ولا بأس أن يتضمن ما يطبع في ورق الرسائل، رقم صندوق البريد أو التلفون، إذا كان مشتركا فيهما أو أحدهما، وكذا اسم المدينة والحي الذي يقيم فيه؛ والثلاثة الأرقام اليمنى من سنة التاريخ.

فليس للطالب في المدرسة، ولا للعاطل من حلية العمل، أن يطبعا اسميهما على أوراق المراسلات، لأنهما إذا فعلاه ادعيا بما ليس فيهما، وانتحلا ما لم يكن من صفاتهما.

وفي تحرير الرسائل، تحسن كتابة الأعداد بحروف الكلام، ما لم يقصد بها الدلالة على تاريخ الأيام والسنوات، ومبالغ المال، فيكتب مثلاً:

"خمسة وتسعون جلا" لا "٩٥ رجلا" و"٢٥ قرشا" لا "خمسة وعشرون قرشا" و"٤ سبتمبر ٢٠٢٠ لا "أربعة سبتمبر الخ".

٥- إذا عن لك البحث في موضوعات متعددة، فافتتح رسالتك بما يكون منها أعظم أهمية في نظرك، ثم اتبعه بالباقي، مراعياً فيه تقديم الأهم على المهم، وابدأ كل موضوع من أول السطر.

ومزية هذا الاحتياط، تجنب إضاعة الوقت فيما لا يهم حتى لا يفوتك علم ما يهم. وإلا جررت إلى نفسك بجهلك إياه، خسارة في النفس أو في المال.

٦- إذا همت بتدوين رسالة فاستحضر موضوعها في ذهنك، ومثله لناظرك كأنك تراه، كما ترى الصورة مطبوعة في المرآة، ثم بادر بإفراغه في قالب التحرير، تنج من النسيان الذي يضطرك إلى كتابة الحواشي.

واعلم أن الالتجاء إلى كتابة الحواشي، يلصق بك تهمة الإهمال، أو الجهل بتنسيق الرسائل، دع أنه يشوه وجه الرسالة، ولا يتفق مع الأدب الواجب الرعاية في المراسلات.

٧- يبدأ الكتاب ببسط الموضوع الباعث على تحريره، ثم يختم بإهداء عبارات التحية والتكريم والشوق والتعظيم. فمما ينافي الأساليب الوضعية للرسائل، ولا يتفق مع مصلحة كاتبيها وقارئيها، افتتاحها ببث تلك العبارات، والاسترسال فيها بحيث تتناول القسم الأكبر من سطورها، إذ أقل ما في هذا الأسلوب من العيب والضرر، أن تكون الرسالة في أمر خطير، فتحول مقدمتها المسهبة دون الوقوف عليه، بما

تحدثه تلاوتها من الملل والسآمة، وربما كان ذلك الأمر ماسا بمصلحة مهمة، فتكون فداحة الضرر بنسبة هذه الأهمية.

٨- يقتضي تحرير عنوان من تكاتبه، سواء أكان بصدر المكاتبة، أم على الظرف المغلف لها، عين العناية الواجبة في تحرير الرسالة ذاتها، موضوعاً ووضعاً.

فإذا كان مراسلك، من أصحاب المناصب وأرباب الرتب، فلا تغمطه حقه بإهمال الألقاب اللائقة بمناصبهم ومراتبهم، وأضف إليها لدى تحرير عنواوينهم على الظروف، بيان مكان إقامتهم بالدقة، مع إيراد الأرقام المعينة للشارع، كل ذلك بخط يمنع اللبس والأشكال.

ويحسن بوجه عام، ذكر وظيفة من تراسله أو صناعته، تقية الخطأ المحتمل الموقوع، في الأحوال الداعية إلى اللبس، وإذا كانت هذه الصناعة وضيعة، يسوءه ذكرها ضمن عنوانه، فالذوق السليم، وواجب الحرص على كرامة الغير يتطلبان منك إغفالها، ولكن يتحتم في مقابل ذلك، استيفاء البيانات الكفيلة بوصول الرسالة إليه.

كما أن وضعهم جملة " متعجل جدا جدا " لا يحمل مصلحة البريد على أن تبذل فوق ما تبذله من العناية، لإيصال الرسائل الواردة، ما لم تصدر الرسالة بالبريد المستعجل.

٩ _ من آداب الثقة إذا كلفت أحدا إيصال رسالة إلى من تكاتبه، أن تسلمها إليه مفتوحة، وأنما يجب عليه أن يبادر هو بإغلاقها أمامك.

وإذا كتبت لأحد كتاب وصية فلا تختمه، بل سلمه إليه مفتوحا، ليقف على مضمونه بعد انصرافه من عندك، ويعلم منه أنك كتبت هذه الوصية لا عن تكلف ورياء، بل عن صراحة ورغبة في إيصال النفع إليه.

ويجب في حالة تصدير الرسائل بالبريد، أن تلاحظ المواعيد المقررة لإيداعها صندوق البريد، كي تصل إلى مراسلك في وقت لا تضيع به الفائدة المقصودة منها.

فرسائل التهنئة بعيد أو بمناسبة من مناسبات الفرح والسرور، كالزواج أو الميلاد، ترسل قبل حلولها بزمن يتسع لوصولها في ليلة ميلاده.

١٠ _ تذكرة البريد رقعة مستطيلة من الورق المقوى، يكتب على أحد وجهيها عنوان المرسل إليه، وعلى الوجه الآخر موضوع الرسالة.

ولما كان القصد منها سد حاجة الكاتب، إذا غاب عنه الورق أو المداد، فلا يليق بالمهذب توجهيها إلى السيدات، أو إلى الكبراء، وإنما يقصر تبادلها على الذين ارتفعت من بينهم الكلفة، من الأشباه والنظراء.

وفي الوجه الخاص بتدوين موضوع الرسالة، يكتب تاريخ اليوم، واسم المرسل إليه، ثم الموضوع، بشرط أن يفصله عن هذا الاسم فضاء أبيض، بقدر الفضاء الذي يشغله سطر من سطورها.

وإياك والاسترسال في بث عبارات الأشواق، وإهداء ألفاظ التسليمات المباركات، خيفة أن لا يبقى في التذكرة موضع للتوقيع فضلاً عن الموضوع.

ومن الطيش وسوء التدبير، إيداع تذاكر البريد أسراراً ماسة بأسرة الكاتب، أو متعلقة بمصالحه المالية، ومرافقه التجارية.

١١- سر الرسائل من الأسرار الواجب صونها، فإذا فضضت ختام كتاب، بوهم أنه موجه إليك، ثم علمت من تلاوة ديباجته أنه مرسل إلى غيرك، فبادر بطيه وإرساله إلى صاحبه، مصحوباً بكلمة اعتذار مشفوعة بنوع من أنواع التأكيد، أنك لم تستقرئ منه، إلا ما أفادك أنه لغيرك.

وإذا عثرت على كتاب مختوم في الطريق، فحذار أن تفتحه أو أن تحاول استكناه ما تضمنه من السر، بل بادر بإرساله إلى صاحبه، إما بواسطة البريد، أو بوسيلة أخرى تثق معها من وصولها إليه.

ولا تقرأ رسالة عهد إلى أمانتك بإيصالها إلى المرسل إليه، وإذا دفعها الكاتب إليك غير مختومة، لثقته بك، فبادر من فورك بختمها أمامه.

ولا تتعمد الوقوف خلسة خلف كاتب لتستطلع من فوق كتفهن سر ما يكتب؛ وإلا عرضت نفسك للمؤاخذة والانتقاص.

فرطت من أحدهم مثل هذه الفرطة، فلما شعر الكاتب به، كتب فيما كان يكتب لمراسله: "إلى هنا أقف عن موافاتك ببقية هذه الرسالة، ريثما ينصرف فلان من خلفي" فأخجله بهذه الجملة، وألزمه ملازمة الأسف والاعتذار.

١٢- جاء في المثل السائر "لكل سؤال جواب" فمما يجب عليك متى وصل البريد كتاب من أحد، أن تبادر بالرد عليه، لما في المبادرة من برهان على حسن تربيتك، وتقديرك الشيىء قدره.

والإهمال في الكتابة يسوق صاحبه إلى السقوط في رذيلة الكذب، بما يضطر إلى انتحاله من الأعذار.

١٣ _ مما يحسن في الترسيل:

- تجنب كتابة خطابين لشخصين مختلفين في ورقة واحدة.
- واترك المزح ما لم يرد المراسل ذلك ، وعلى كل حال لا يصلح المزح مع الكبراء والرؤساء.
- التزام صيغة الغائب في الكتابة إلى العظماء والوزراء، كأن تقول: "لقد تقدم معالي الوزير بكذا...." لا أن تقول " لقد تقدمتم يا معالي بكذا...".
- إجتناب الورق المسطر أو المقطوع من الدفاتر في كتابة الرسائل.
- ضع تاريخ الرسالة بأعلى الصفحة، ما لم تكن موجهة إلى كبير، أو صاحب مقام خطير، فإنها توضع بأسفله إلى يمين الإمضاءة.
- اجعل خطابك في كل ما تكتب جليا جميلا.

الفهرس